



أزل

رواية: أزل  
تأليف: هبة عيسى  
الناشر: مؤسسة تبارك  
الطبعة الأولى ٢٠١٧  
رقم الإيداع: ٢٠١٧/١٧١٨  
ترقيم دولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٥٨٥-٠٥-٨  
تصحيح لغوي: عبدالله أسامة  
إخراج فني: سمر محمد  
تصميم الغلاف: هبة عيسى

حقوق النشر والطبع والتوزيع محفوظة لمؤسسة تبارك - ٢٠١٧

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو جزء منه أو اختصاره بقصد الطباعة واختزان مادته العلمية أو نقله بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك دون موافقة خطية من الناشر مقدما

مؤسسة تبارك للنشر والتوزيع

نشر - توزيع

0020/01007224444-01143900097

e-mail:

m.z2000@hotmail.com



أزل

رواية

هبة عيسى









في مطلع بعض الروايات، يكتب المؤلف أنه غير مسؤول إن حاكت أحداثها وشخصها الواقع، نافيًا عن نفسه ورطة مستقبلية ما، يستدرج القارئ كي يتخطى بعض الإسقاطات التي قد تتطابق مع شخصية مشهورة، أو زمان معروف أو وطن ليس بغريب عنهم تُقطع فيه الألسنة.

أو يكتب تحذيرًا أن بها جرعة قاتلة من الأحزان؛ كي لا يتناولها أصحاب النهنات؛ فتصيبهم حساسية الدموع.

أما هنا وأنتم في حضرة المستقبل فلا يسعني سوى أن أخبركم بأن هذه القصة كُتبت لجيلٍ لم يأتِ بعد، ولجيل يعيش الآن على قيد ماضيها، لجيلٍ يراقب من الأعلى.. من الزمكان..

الأخير يترقب.. يجتهد في قنص أرواحكم.. ويعلقها في شجرة التفاح الزمكانيّة.

هناك عدلٌ ما يضمن لنا أخذ نصيبنا الكامل من السعادة قبل أن ندفع ثمنها موتًا، تأكد أن ما نقص من سعادتك أمام كفة الموت الثقيلة، أخذته في حياةٍ قديمة لا تذكرها.

وأن ما زاد من كفة سعادتك التي تذكرها، هو ثمنٌ من التعاسة مدفوع مقدّمًا فيما قبل الذاكرة.

هبة





## إهداء

إلى روح الطفل السوري الغريق عيلان كُردي.. الذي ابتلعه  
البحر رحمةً به من أهوال حياةٍ لا ترحم، تسن أسنان القسوة  
لمن يتطلع لخوضها. لقد طلب مني أن أخبركم أنه سعيد جداً؛  
لأنه في مكانٍ أفضل.. وأنا لم أجد طريقة أخبركم بها رسالته  
سوى هذه الرواية.



هناك دائمًا قدرٌ كبير يُمغنط أقدارًا صغيرة؛ لتظل تدور حوله، كقدر الكواكب التي تدور حول الشمس بكل رضاها، ربما لا تترجم ذلك على أنه استعباد، ربما تترجم ذلك على أنه ولاء ومحبة لنجمة كبيرة تحرق نفسها وتشتعل داخل ذاتها لتضيء الكواكب ولتكوّن المجرة.

أنا لا أبرر أسباب بقائنا ندور حول تلك الأشياء التي تستخدمنا، ولا أبرر مغناطيسية الكون التي وُضعت فينا وجُبلنا عليها، أنا فقط حاولت أن أتمرد وأخرج عن السياق بجموح، أن أفر وأهرب خارج الدائرة المغلقة. لماذا لا أكون أنا الشمس؟ وهم الكواكب، لماذا لا أكون أنا النواة وهم الإلكترونات؟ لماذا لا أكون أنا القدر؟ وهم البشر. سيقتلون أنفسهم إن علموا بنواياي.. لا أحد يرغب أن يخبئ له القدر تحقيرًا، لو كنت فردًا منهم واكتشفوا نيتي هذه لقتلوني.

راهنتُ على ذكائي للحصول على كل شيء، وراهنت على غيائهم لأكون لهم كل شيء، كنت إلههم دون أن ينطقوا شهادتي، عبدوني بمدح، وتوحيد، وتمجيد، ومناجاة في السر والعلن.. لم أقل عن نفسي أنني إلههم، لكنهم جعلوني كذلك، أنا أذكي من أن أعترف جهرًا بالوهيتي فمصير مدعي الألوهية هو الهلاك دائمًا، فليعبدوني إذًا كما شاءوا.. فهم بالنسبة لعظيم مثلي.. العامة والدهماء.

كن كما تريد أن تكون، حتى إن تحولت لروح تتبع المستقبل والغيب والحاضر.. لن تستطيع أن تكشف حقيقة الأمور.. لأنني أغيرها دائماً وباستمرار.. فالكلمة السرية لحقائق الأشياء لا يعرفها سواي.. أغيرها كل ثانية.. فلا داعي للتحذلق، وتقمص دور أنك الموسوعة، أو أنك بالجوار.

المجهول



## سوريا – الرقّة ٢٠١٤ م

### أمي لماذا يعنّفنا الله؟

يقول أدونيس "إن أفسى السجون وأمرها تلك التي لا جدران لها"، لا جدران بين الأرواح كالتي بين الأبدان، الأجساد تبني بينها الجدران حتى لا ترى عورات بعضها البعض، أما الأرواح فلا عورات لها وليست بحاجة لتفصلها الجدران عن بعضها البعض.

لذا فإن الروح لا تخشى الارتطام.

خرجت طفلة صغيرة تقطن الشرق من رسمه صبي يقطن الغرب من بلاد العرب، خرجت حقيقية، صغيرة اليد في عمر الخامسة، صغيرة جداً على الحزن الذي خيم على البلدة التي كساها سواد الملاحف النسائية فجأة، وسواد لحى رجالها المجبورين على إطلاقها والغير مجبورين، سوادٌ وشم على جفنها النعاسَ المستمر، يداها صغيرتان لا تقويان أحياناً على الإمساك بأفلام التلوين الطويلة، تركتها وركضت نحو صوت التلفاز، الذي أعلن التنظيم فيه عن إغلاق المدارس حتى يضع منهاجاً بديلة تتوافق مع قوانين الدولة الإسلامية المزعومة، شعرت بخيبة أمل، فحكايها أمها عن المدرسة تبخرت في لحظة بعد ضياع فرصتها للحاق بمدرسة لا

تدري متى سيتم فتحها هذا العام، سرعان ما نسيت الأمر كطفلة تريد أن تمرح فقط، تغني أغنية تتر المسلسل الكرتوني المفضل لها، وحولها أختها ترددان، تركض تحاول رسم ما شاهدت، تجرّ حقائب الأحلام والقصاص في رسماها، تخرج منها ما تيسر على الورق، تسعل الحزن في رسمة ثم تعلقها على جدار في غرفة تنام بها آخر الليل جوار أختها الصغيرتين، تغيب أمها في العمل تحاول توفير ما تشتري به متطلبات الحياة والدمى التي قد تهون على صغيراتها هول الدم المراق في أرجاء البلدة، حتى منعها نظام "الحسبة النسائية" التي كلفتها داعش بمراقبة النساء الغير منتميات للتنظيم وإخضاعهن للقوانين، ومنعهن من الخروج خارج البيت إلا للضرورة وبملحفة.

الأب صنعت منه الأيام رجلاً وحيداً مع نفسه ليس له في الحياة سوى أسرته الصغيرة وصديق يسامره بعد عمل يوم شاق وحرب مع الزبائن في متجره، فيجلس مع صديقه آخر الليل في شرفة البيت ثم يدخل بعد ذلك السمر ليغالبه النعاس أمام نشرة أخبار التاسعة، إنه حاضرٌ غائب يناشد الله كل نشرة أن يسمع خبراً يرويه، كأن يخرج الدواعش خارج البلدة مثلاً. كان دائماً هناك شيء ما ينغص على هذه الأسرة حياتها..

المجهول ربما.



أمي لماذا يعنفنا الله؟

سألت الصغيرة هذا السؤال عندما قاطع الأذان صوتها الهامس وهي تحدث أمها، تلعثت الأم في الإجابة وأصابتها فزعٌ من كلمة "يُعَنَفُنَا"، نظرت لصغيرتها نظرة مطوّلة بعض الشيء تحاول استجماع إجابة:

- هذا ليس صوت الله، هذا صوت رجل يدعى المؤدّن، بعض المؤدّنين أصواتهم جيدة والبعض الآخر لا.

- أليس الله هو الذي يختار المؤدّنين؟

- لا يا حبيبي، الله في السماء، المؤدّنون يقومون بالأذان والنداء للصلاة ودعوة الناس للمسجد دون أن يختارهم أحد.

- لا يا أمي، يجب على الله أن يختار من ينادي له، لا بد أن تكون أصواتهم جميلة حتى لا أفزع منها.

(الأم لم تلتفت لتلك الميتافيزيقيا التي تتحدث بها الصغيرة، لا يهمها سوى قشور الحديث) فترد:

- لا يا جميلتي من الخطأ أن نقول "يجب على الله"، لا أحد يُملي على الله ما يفعل.

- كل شيء أقوله دائماً تقولين عنه أنه.. خطأ.. خطأ.. خطأ.. يا أمي.

ألقت الأم نفسها تدخل في متاهات أعمق مما تتخيل من أسئلتها الصغيرة الكبيرة، وعلامات التقطيب لم تغادر وجه الطفلة، وكأن إجابات الأم لم تُفنعها ولم تُشبع استفساراتها عن الله، ابتسمت في وجهها وقالت:



- الله لا يتحدثُ إلا في كتابٍ مقدس، هذا هو حديث الله، نحن نرتله بصوت جميل لأننا نعلم أن الله جميلٌ يحب الجمال، لكن البعض لا يملكون صوتًا جميلًا لكنهم يريدون الثواب وال ...

قاطعتها الصغيرة:

- أمي أنا لا أحب الأصوات التي تصرخ حتى لو صرخت بكلام الله، الله سيغضب منهم أنا متأكدة.

منذ هذه اللحظة قررت الصغيرة أن لا تقتنع بأي كلمة تنطق بها أمها، ربما فقدت الثقة فيها بعد هذا الموقف.

الأم تتعجب من إصرار ابنتها على موقفها حتى قطع شرودها صوت الإقامة، ثم صوت الأب يصرخ من الخارج:

- اتركوني يا أوغاد.. دعوني.. ما بكم.

أسرعت الأم وابنتها نحو الشرفة لمعرفة سبب صراخ الأب، مجموعة من الملتحين يجرونه نحو عربة مكتوب عليها "هيئة النبي عن المنكر"، خرجت الأم من دعرها دون ساتر رأس:

- اتركوه.. ما بكم.

رد أحدهم:

- انظروا إنه لم يتأخر فقط عن الصلاة مشغولاً بالبيع في متجره، إن زوجته أيضًا سافرة، سيعاقب الآن بجريمتين، السافر الفاجر.. جهزوا المقصلة.

- اتركوا زوجي يا أوغاد..

- أبي.. أبي.

رد أحدهم:

- أباكِ يُغضب الله.. الله أرسلنا للنهي عن مُنكر أباكِ.

الصغيرة في غضب:

- الله لا يحبكم.. أنتم قبيحون.

أخذوه في عربة جمع المنكر، وغادروا حتى أخفاهم ضباب الأفق.  
بكت الصغيرة بدموعٍ كانت متحجرة منذ طرحت سؤالها "لماذا يُعنفنا  
الله؟".

الأم تبكي، بين كفيها تخفي وجهها، فتحت الصغيرة بوابات الكفين،  
سقطت شلالات دموع أمها، مسحتها بيديها الصغيرتين وهمست بصوتٍ  
حازم:

- أمي، يجب على الله أن يختار من ينادي له..

التفت الصغيرات الثلاث (إنانا وسوسنة وريم) حول أمهن.. إنانا تلف  
ذراعها حول رقبة أمها التي طأطأتها استسلامًا وقلّة حيلة.

في حزن:

- يجب علينا أن نهجر من هنا.. ما عادت هذه البلاد تسعنا، حتى لو  
اضطررنا للسير على أقدامنا إلى بلاد نأمن بها أنفسنا.

إنانا:

- وأبي يا أمي؟

- سنحتسيه في الجنة.. وسنحيا رغماً عنهم.

\*\*\*



الإسكندرية ٢٠٢٠م

## الأفكار المملتة



في البلدة الجديدة فرضت الأم على بناتها أسلاكًا شائكة في ملابسهن وحياتهن. منذ العام ٢٠١٥ وحتى العام ٢٠٣٠ وتلك القوانين الصارمة مفعلة، السواد هنا أيضًا وليس في داعش فقط، الجلابب الأسود الذي يصل حتى القدمين، الخروج من البيت يكون في الساعة الثامنة صباحًا والعودة من المدرسة تكون في الساعة الواحدة تمامًا، والتي تسوّل لها نفسها أن تتأخر عن الموعد المحدد تعاقب، لقد فرضت الأم قوانين داعشية في المنزل، ربما تشبمها بالداعشية مبالغ فيه. قد يكون هذا لصالحين، لكن الصرامة الشديدة غالبًا ما تنجب تمرّدًا، فتكبيلات الأم الأب لا هواده فيها ولا مرونة. سوسنة وريم كانتا الأكثر تقبلاً لتلك القوانين، لكن إنانا كانت تتأفف كثيرًا، تعاقب كثيرًا، تريد أن تحلق لكن خوف أمها عليها يعيق، فمنذ بلغت العشرين من العمر وهي تحاول تغيير عقلية أمها، تحاول إغواءها بانفتاح البلدة الجديدة، تقف بها أمام واجهات المحلات تريد ابتياع الفساتين الملونة وأغطية الرأس الدانتيلية، وأمها تصر على أن تظل مرتدية جلاببها الأسود وغطاء رأسها الأبيض القطني، ثم تشدها من يدها نحو المنزل وتكتفي بشراء حاجاتها، ومقادير من الطحين والكنافة والسكر والسمن لتصنع الحلوى التي تبيعها وتترج من عائدها منذ العام ٢٠١٥، لتنفق على بناتها الثلاث حتى يسترهن الله في منازل أزواجهن، كان هذا هو آخر ما تطمح إليه السيدة مهدية والدة إنانا.

إنانا تتنأب أمام أمها، ومع ذلك لم تكف الأم عن التحدث، بل إنها لا تريد تغيير الموضوع ولا حتى تبديل الأفكار، تناولت إنانا حقيبتها فجأة وقامت بفتحها جيداً وكأنها كانت تتأهبُ لملئها بشيء ما، ثم ثبتت رأس أمها الثرثرة بيد واخترقت صندوق رأسها المعتم ذا الفتحة الضيقة بيدها الأخرى، وأخذت تُقلِّب الأفكار داخله. لتعيد ترتيبها بعشوائيةٍ غير مقصودة، كما يفعل القائمين على مسابقات سحب الورقة الفائزة، وبعد دقيقة من التقليب أخرجت من رأس أمها فكرة، وجدتها نفسها الفكرة التي كانت لا تمل أمها التحدث عنها، لم يكن صندوق رأسها شفافاً لتتمكن إنانا من تمييز ألوان الأفكار لتختار غير الفكرة التي ملتها، لذلك وضعت الفكرة المملة في حقيبتها وأغلقت الحقيبة حتى لا تقفز الفكرة لرأس أمها مجدداً، وبدأت إنانا مرة أخرى في تقليب بقية الأفكار من جديد، ثم أمسكت بفكرة أخرى بعد تقليبٍ شديد، أخرجتها بسرعة، فوجئت أنها نفس الفكرة المملة التي كانت أمها تتحدث عنها، بدا على إنانا بعض الإستياء، فوضعتها في حقيبتها لكنها لم تفقد الأمل وقررت هذه المرة أن تتحسس أشكال الأفكار في رأس أمها، تبحث عن حدودٍ غير منتظمة لفكرة ما، ولملمس لا يشبه ملمس الفكرة المملة ربما بحجم مختلف لتضمن هذه المرة اختلافها، ثم سحبت فكرة فصُغت حين وجدتها هي بذاتها الفكرة المملة لم تتغير، لكنها صغيرة هذه المرة، اشتد غضب إنانا وقررت هذه المرة إعطاء وقت أكبر للتقليب، أخذت تقلب الأفكار ساعة حتى شعرت بالإرهاق الشديد، وقررت بينها وبين نفسها أنها آخر محاولة، مدت يدها فلم تجد شيئاً، الرأس فارغة تماماً، بحثت

بيدها في الزوايا وفي المنتصف وفي كل المساحة فلم تجد شيئاً، ولم تعرف أين ذهبت الأفكار؟!

رغم انتشار علامات الإستفهام حولها وغرابة ما حدث إلا أنها كانت راضية هذه المرة، فخرجها باللاشيء كان أفضل كثيراً من خروجها بنفس الفكرة المملة، فتحت حقيبتها لتطمئن أن الأفكار المملة موجودة، لكنها صدمت من جديد بعد أن اكتشفت أن الأفكار المملة ليست في حقيبتها، أغلقت حقيبتها وأغلقت رأس أمها والضجريماً ملامحها، نظرت لها أمها ببرود قائلة:

- وماذا كان سيحدث إن انتظرت؟! إن الوقت والتقلبات تذيب الأفكار المملة.

ردت إنانا:

- ليس لدي أكثر من عمر ليضيع وأنا أصغي لأفكارك المملة، كل ما حدث، حدث لأنني كنت أريد إحداث تغيير، لكن بـم أنك كنت تدركين أنها مملة ولا تسعين بذاتك لتغييرها، فهذا ختام بيبي وبينك، ربما كان علي أن أستسلم للنعاس لتمرير الوقت ليس أكثر.

ردت الأم ببرود:

- هناك حل آخر.

الفتاة:

- ما هو؟



أخرجت من أذن إنانا حبل أفكارها المملة المخزنة وأحاطت به عنقها  
وظلت تخنقها، حتى سقطت بلا حراك..

هذا ما كان يحدث دائمًا في أي نقاش يثار بين إنانا والسيدة مهديّة..  
تشعر إنانا أنها سقطت في أسر لن يتغير أبدًا.. نفسه الذي سقطت فيه  
أمها وجدتها.. ستصنع يومًا ما نفس المرّبي، وستتردي يومًا ما الفستان  
الأبيض، وستسأل كل يوم عن مصروف المنزل.. أدبرت منه شيئًا أم لا،  
وستصنع آلاف القدور من الحساء والآلاف من صواني الكعك، إنه قدر  
فتيات الشرق.. لا يمكن لفتاة من أصول فينيقية كإنانا كسر الإطار، إنها  
الحياة التي فرت بها أمها من بين برائن الدواعش، لا يمكن المغامرة بتلك  
الحياة الجديدة في سياق خارج الاستقرار والزواج، هذه هي الأفكار التي  
كانت الأم كل ساعة، تنفخ بها رأس إنانا.. تثرثر بها.. لا يوجد غيرها.. حتى  
اختنقت.

إنها حقيقة ما فعلت بها أمها عندما كانت تواجهها بأفكار المراهقة،  
صفدت عنقها بحبل من التقاليد التي أسقطتها بلا حراك في حياة أراستها  
نسخة طبق الأصل من حياتها. فقد ورثت إنانا من والدتها البيضاء  
الشاهق الممزوج بحمرة، بوجنتين متوردتين وجبين يلمع في الضوء، لكنها  
لم ترث منها حدثها وإيقاعها الرتيب المنضبط في الحياة. كلما وبختها على  
شيء ما، تخرج غاضبة من شقتهم الصغيرة المتواضعة التي أجرتها الست  
مهديّة منذ عام بعد معاناة شديدة في جمع مقدمها.

فقد كانوا يقيمون عند أسرة سكندرية استضافتهم في قبو بيتهم، كان أمرًا غاية في الصعوبة، استماتت الست مهدية لأجل الخروج من هذا القبو.

كانت تنظر كثيرًا لشجرة تفاح في حديقة المنزل، تشعر أنها تعرفها.. رأتها ذات يوم في زمن قديم مع أنها حديثة عهد بها.. فعمر علاقتها بها عام منذ أجروا الشقة، لكنها حقًا لا تدري أين رأت هذه الشجرة من قبل. لدرجة أنها كانت تشرّد وتتخيلها نفسها الشجرة التي تسببت في طرد آدم من الجنة، وأنها كانت وقتها في صورة حواء، بالرغم من أن تفاحات هذه الشجرة عطبة، زرعها العجوز حمدي القاطن بالدور السابع. ولأن زارعها رجل تعدى الثمانين من الطبيعي أن تصاب بالعطب.

اقتربت ريم أختها الصغيرة منها، جلست جوارها على المقعد أمام الشجرة:

- ماذا يا إنانا؟ أتفكرين في مصيبة جديدة ترهقين بها أمي؟

ردت:

- ترى كم يلزمنا من سوء التفاهم ليُصبح لدينا "سوق تفاهم"؟ نتبادل فيه التفاهم علانية دون شك في بعضنا البعض، سوق تفاهم يباع فيه التفاهم بالكيلو للعابرين، وبثمن زهيدٍ من التريص لبعضنا البعض ... أي مصيبة سأفكر فيها وأنا لا أطلب إلا السلام؟ أن تتركوني فقط أكون "أنا"

ريم:

- أُمي تريدنا أفضل حالاً منها.

إنانا:

- ليس عليها أن تحاول ذلك.. الرغبة في أن نكون الأفضل، وطريقتنا في أن نكون الأفضل.. اختياراتنا.. قراراتنا.. لا بد أن تكون نابعة منا.

- لا أدري من أين تأتيك هذه الأفكار، أجد معك بعض الحق، لكن أُمي تعبت كثيراً من أجلنا ومن حقها أن تحافظ علينا، طريقتك في التفاهم معها ترهق البيت كله، تقربي منها ولو بمساعدتها قليلاً في عمل الحلوى، أو حتى في توزيعها.

نظرت لها إنانا بطرف عينيها ثم تركتها.

تخشى السيدة مهدية عليها من الخروج حتى لو جلست أمام المنزل، ففي قرارة نفسها رعب لا يهدأ منذ تفشت حوادث الخطف التي انتشرت في الإسكندرية في العشر سنوات الأخيرة، والأمن ما زال منعدماً.. تتصل بها بصوت شديد اللهجة:

- حماقاتك لم تكن تنقصني، اصعدي حالاً.

بمجرد أن تصعد بخطوات متناقلة.. تغلق عليها الأم الباب بأقفالٍ من الخوف لا تفتح إلا طلباً للرزق، تود أن لا تخرج ولا تخرجهن أبداً لكن الضرورة القاهرة تحتم أحياناً.

على نفس الدرج صعد شاب متجهًا للدور السابع حيث يقطن العجوز  
حمدي ولولا أنه تأخر بضع درجات قبل أن تصل إنانا باب شقتها، لصفع  
القدر نفسه صفعه قاتلة..

\*\*\*



## عصارة العصاري

العجوز حمدي ذو الخمسة والثمانين عامًا له باعٌ وذراعٌ في الفراسة ومعرفة مضامين البشر من وجوههم، أو هكذا يزعم، لكنه للمرة الأولى يخبرني بأن قدرته في معرفة ما يحدث داخل كل جمادٍ قد زادت نتيجة تأملاته وتدبراته لتلك العوالم، كنت أظنه يهذي، أو أن ساعته اقتربت، فالذين يوشكون على الموت كثيرًا ما يرون ما لا نرى، وحتى لو كان الأمر كذلك، أمر مختلف أن تكون برفقة عجوز سيوصمه الموت قريبًا، ومن باب العبث والتسلية نوبتُ أن أجاربه؛ لذا فقد قبلت دعوته لي على فنجانٍ من الشاي العدني الذي اعتاد شربه في نهاية كل نهارٍ منذ كان مغتربًا في بلاد الخليج، هكذا أخبرني حين أقبلت حفيدته بالشاي، بدأت حديثي معه شاكرًا إياه على دعوته لشاي العصر، أخذ الفنجان وتمتم:

- كل شيء يا نزار يا ولدي في هذه الحياة قابلٌ للعصر، حتى تلك الجمادات يا عزيزي، انظر لهذا الإبريق إن ذراته تعصر نفسها ذاتيًا دون أن نراها، تبكي دون أن ندرك بكاءها تضحك حدَّ اعتصار أعينها بدموعٍ لا نعرف مما تتكوّن، هناك عوالمٌ في اعتصارٍ دائم.

- وما نتيجة الاعتصارات يا سيد حمدي؟

- الماء، والغريب أن هذا الماء يتدفق على شكل دموع من كيانٍ حزين،  
ومن كيانٍ آخر مُصاب بنشوة على شكل شهوة، والأخير ماءٌ مهين.

وضعت فنجان الشاي جانبًا لأنني ذهلت من فلسفته، لكن في الحقيقة استضعفته كثيرًا وبدا لي هشًا، لكنه فيلسوف أويحب أن يظهر لي كذلك، لم يصل بي حد التدبر في الأشياء حولي لهذا العمق الذي وصل له، وأنا الذي كنت أظنه يعبث معي بكلام لا معنى له، رغم أن سمعه ليس على ما يرام فقد ترجم عقله توقيت "العصر" إلى كلمة "العصر" التي نعني بها إخراج العُصارات من الأشياء، إن عبثية الحديث مع هذا العجوز مفيدة، حاولت جرّه أكثر لمناطق أخرى عبثًا، أو حتى أخرج منه بقصة أو إلهام يساعدني على الكتابة خارج دائرة ذاتي، فقد مل قرائي كتاباتي التي أتحدث فيها عن نفسي. استدراجًا لحواسه اليقظة قلت:

- أنا مقبلٌ على الزواج يا سيد حمدي وأريد أن يصيب اختياري لامرأة، فلم يعد لدي طاقة لمعرفة أكثر من واحدة ثم المفاضلة بينهن للعثور على زوجة، أخبرني عن منهجية أتبعها في هذا الأمر بحكم درايتك بفراسة البشر.

أعاد ظهره للخلف، وقال مفتعلًا الحكمة.. بعد أن نفختُ بالوناتها فيه:

- حدد زيارة لأهل المرأة التي تعجبك، ثم خذ معك في أول زيارة لها  
"فسيحًا".

- "فسيحًا"؟! -

- نعم، وقم بفتحه ودعوتها على تناوله معك، فإن سعدت به وسال  
لعابها أمامك، فتزوجها وأنت مغمض العينين، وإن تأففت وتصنعت  
الكِبر ورفعت أنفها بعيدًا، فدعك منها واهرب بجلدك.

- ولماذا الفسيخ؟

- المرأة الخصبة تحب الفسيخ، لديها الكثير من العُصارات داخلها  
والفسيخ وحده قادرٌ على كشفها لك، كشف ذلك الشبق المختبئ  
فيها دون حرج أو تحسس، أن تعرض الفسيخ على امرأة تمامًا كأن  
تضعها تحت جهاز كاشف للخصوبة، كلما زاد تأثير لذعته عليها  
زادت قشعيراتها وسيلان لعابها وتأكدت أنها شَبِقة، وهذا الاختبار لا  
تدركه النساء فقم به وأنت مطمئن، إنها كليمونة مليئة بالعصارة  
طبيعية النكهة، ستحول حياتك لعطاء إن أحبتك كحبها للفسيخ،  
لذا عليك أن تتحول لفسيخ يا بني.

شعرت أن هذا العجوز يهذي فعلاً وبدأ الخرف، كما أنه عجوز شقي  
أيضًا، له باع وذراع في تذوق أصناف النساء، كنت أظنه مهذبًا منغلِقًا  
على ذاته، لكن يبدو أنه ليس كذلك، إنه يخاطب غريزتي بشكل فاحش،  
يا له من محرّض، أنا متأكد أن شبابه كان حافلًا بالمغامرات النسائية  
المشتعلة، الوقح، إنه يريد تحويلي لفسيخة في هذه الجلسة، لكن لا  
بأس، ربما هناك فلسفة ما وراء هذا الخرف يمكنها أن تغير قناعتي، لا  
بأس، سأجاريه:



-ولكن يا سيد حمدي كيف أتحول لفسیخة؟

- بأن تكون لاذعًا لكن رطبًا حنونًا، إنها معادلة الزبدة (برد حاضر وسرعة بديهية).

- معادلة الزبدة؟

- نعم، المرأة تحب الرجل الذي يلذعها حديثه فتترك لذعته في نفسها أثرًا، تبتسم بينها وبين ذاتها كلما تذكرت طعم هذه اللذعة فيسيل لعاب قلبها مسببًا لها قشعريرات كتلك التي يسببها الفسیخ، لكن سرعان ما ترطب زبديّة لحمه لذعته هذه، وهذا الترطيب لا يحدث إلا باهتمامٍ ورحمة وطيبة، وبين اللذع والترطيب يجب أن تكون متوازنا كي تحقق معادلة الزبدة.

هذا الرجل لا ينطق عن الهوى، إنه يتحدث حديثًا موزونًا.. يعطيني مفاتيح خطيرة لعالم النساء.. وضعها في جيب حماستي.

واستأذنته بالمغادرة.. غادرت متجهًا لبائع فسیخ، ابتعت منه سمكتين وغلفهما لي واتجهت لبيت العجوز حمدي من جديد، ظننته يشتهي الفسیخ ففكرت أن أشاركه سيلان لعابي الذي أثاره، فتحت لي حفيدته العشرينية الباب، وطلبت مني انتظاره لأنه يصلي، شمت الرائحة فأمسكت بلفة الفسیخ وعينها تلمع.. أهذا فسیخ؟ فاغتمنتُ هذه الفرصة وفتحت لها الفسیخ طالبًا منها أن تشاركني، لم أكن اتصور أن يقذف لي شيطاني بكلمات العجوز حمدي عن علاقة الفسیخ بالشبق، وحفيدته

تريد مشاركتي الفسيخ.. لا تستطيع الانتظار.. قفزت في عقلي فكرة تجربة  
الاختبار عليها، بمجرد فتح الغلاف خرجت رائحة الفسيخ بشكل مكثف،  
فوجدتها تشاركني تناوله بهم دون أن تنطق بكلمة، لقمة وراء لقمة، وهي  
تقول:

امممم اووووووه، دخل العجوز حمدي فجأة المجلس وقبض علينا  
في وضعٍ مخل..

صرخ بصوت منخفض لكنه بدأ يعلو:

- يا خاين ياغدار يا بن ال.. ، ستزوجه الآن يا وغد.

كاتبٌ مشهور مثلي يتزوج بطريقة الفسيخ؟ لقد ورطت نفسي مع  
أناس يحددون أنواع النساء بفسيخة وعليّ أن أستجيب لطلبه بدلاً من  
أن يُلْفَق لي جريمة شرف تهزلها سمعتي ككاتب.

ضحك صديقه ماجد على قصة زواجه التي رواها له، وأخذا يتعاطيا  
الماريجوانا معاً.

ماجد مازحاً:

- خذ يا حضرة الأديب الكبير جرب هذه الخلطة فالمكدرات تدفعنا  
لتعاطي المخدرات..

ثم أردف مقهقها:

-الله، حلوة.. "المكدرات تدفعنا لتعاطي المخدرات".. لست وحدك  
تجيد الشعر والأدب صديقك أيضًا صاحب قافية.

نزار بـرود:

- أسوأ أنواع الأصدقاء، الصديق الذي يضحك وأنت تحكي له مأساة.  
- وحد الله يا نزار.. الزواج نعمة.. عن أي مأساة تتحدث؟ لديك زوجة  
رائعة.

- كل النساء رائعات يا صديقي حتى يصبحن زوجات.. والغبي هو الذي  
يكتفي بواحدة، الله نفسه يعلم أنني لن أكون مكتفيًا بامرأة واحدة..  
فلماذا أخذت توقعات الله؟

- لا لا، تمهل.. الله شرع أربع زوجات وليس أكثر من امرأة في غير زواج.  
- النتيجة أن الله يعلم أن الاكتفاء بواحدة أمر صعب.. كل ما عليك  
هو أن تنتهي كل مرة بقول:

"أنا لا أستحقك.. تستحقين أفضل مني" ستصدقك صدقني لأنك حقًا  
ستكون متأكدًا أنك لا تستحق.

ماجد وهو يعدل جلسته:

- يبدو أن الخلطة بدأ مفعولها يصل للدماغ وبدأت تُصدر حِكْمًا..  
أقنعتني بشدة يا صاح.. لأن هذا ما حدث معي سابقًا.. كنت أعرف  
فتاةً تدعى.. إنان

(قاطعہ نزار):

- لا وقت لدي لسماع مغامراتك يا ماجد.. اعذرني.. مضطر للمغادرة  
حتى لا تنكد عليّ زوجتي ليلتي.

\*\*\*



# كحل لا يسهل



كانت تقول الجدة وهيبة، جدة إنانا لأمها، إن كُحل العين إن سال بدمع، فهو لم يكن يستحق من البداية أن يُوضع في عينك، وأن الفتلة إن انقطعت فمن تحاولين أن تكوني ناعمة له لا يستحقك، وفي رواية لجذات أخريات بخصوص الفتلة التي تنقطع، فهو دليل غيرته على الخد من أن يلمسه أي شيء حتى لو خيط.

حكاي الجذات لا تنتهي، غير ممنطقة، لكنها تصيب أحيانًا، هذه هي الحكم والأمثال التي ورثها أمي عن الجدة وهيبة.. ترددها أمامنا وقت جلسات التجميل التقليدية التي نقيمها من حين لآخر، كجلسة الفتلة وجلسة الشمع.

إنانا كانت تزين بكحلها للقاء حبيبها الذي لا تعلم عنه أمي شيئًا ومن المفترض أنني لا أعلم انا الأخرى عنه شيئًا، لكنني بطرقي الخاصة استطعت أن أكتشف علاقتها هذه مؤخرًا، إنها تحاول استكشاف الجنس الآخر بطريقة ما، لا أعتقد أن ما تفعله إنانا يندرج تحت اسم الحب، أشعر أنه مجرد استكشاف، فأول علاقة هي دائمًا استكشافية، خاصة إذا كانت الفتاة لم يسبق لها أن تحادث شابًا كأختي إنانا، هذا ما استنتجته، من الصعب على فتاة متمردة أن تأخذ أول علاقة لها على محمل الجد،

بالرغم من ذلك كانت تحلم أن تتزوج من تختاره ويدق له قلبها، طوال الوقت كانت تصدر لي ولريم هذه الفكرة..

عادت بعد ساعتين باكية، تحاول إخفاء سيلان عتمة ما حدث من وجهها، لكن الكحل أصر على فضح الأمر، دخلت غرفتنا وارتدت لباس النوم وغطت وجهها ببطانية مثقلة بأحلام ماتت منذ ساعتين. كنت أصطنع النوم أمامها، فتشعر أنني نمت لتعطي تصريحاً لدموعها ونهبتهاها بالمزيد من التوجع الصريح، حتى شعرت بها تمشي ببطء نحو مرآة الغرفة، استرقت النظر في الظلام لأرى ماذا ستفعل، إنها تحمل علبة الدبابيس، تفتحها ثم تخرج الدبابيس منها على الطاولة، تختار دبوساً، و.. تغرسه في يدها، تبكي وتكتم الصراخ، ما جاء ببالي أنه ندم ولوم من النوع الذي يحفز على إيذاء الذات، يبدو أن تلك الرحلة الاستكشافية باءت بالفشل أو الصدمة..

نهضت مسرعة نحوها أنتشل منها الدبابيس، وأحتضنها دون أن أطلبها بسرد أي شيء، شعرها الذي قصته في الخفاء، وكحلها المراق أخبراني بكل شيء.. لم أنطق سوى بكلمة واحدة: الطفلة التي شاهدت الموت بعينها والغرق، وشاهدت الأسماك وهي تأكل الجثث الطافية، لا يهزها شيء أيًا كان.

نظرت لي بأعين كلها بكاء.. وضعت يدها المسالمة على يدي.. وذهبت لتنام.



أخيرًا نامت بعد عناء، ضوء هاتفها المحمول يزداد، إن هاتفها مضبوطٌ على الصامت كما اعتادت مؤخرًا، لكن الضوء يشير بوجود متصل، المتصلون في منتصف الليل عادةً ما يكونون لصوصًا، ولأن أختي لم تكن على ما يُرام تأكد داخلي شعورٌ أنه لصٌ كبير، نظرت في شاشة المحمول، إنه إشعار فيسبوكي، رسالةٌ ما من أحدهم.. فتحتها دون قصد، فظهر له أني رأيتها seen

الرسالة ذاتها كانت سين.. سؤال استفهامي غريب الطابع، من الطراز الذي يجعل الاندهاش يندهش، كانت الرسالة تقول..

"ألم أخبرك من قبل أن ماجد يستهتر بمشاعرك؟! انه من النوع الذي يترك المضمونات، وقد ضمنك منذ البداية، كنت مسكينة، لم تصدقيني وأنا التي انحرقت بنار خداعه قبلك، أشفق عليك، يجب أن تتعافي سريعًا، سأهاتفك لاحقًا لأطمئن عليك، بالمناسبة أحضرتُ لك قلم كحل لا يسيل من ماركة مشهورة كما طلبت. لكن ثمنه مرتفع".

تأكدت لي تخميناتي، اسمه ماجد إذًا، سرعان ما اغتنمت فرصة أن حسابها بحوزتي وبحثت عن رسائلها معه، وجدت في القائمة ماجدًا واحدًا، بالتأكيد هو، آخر رسالة تركها لها كانت:

"أنا لا أستحقك لأنني ميت، تستحقين شخصًا حيًا".

إنها ذاتها الجملة المعلبة "لا تستحقيني.. " التي ينهري بها الشباب للعبوع علاقاتهم مع فتياتِ حاملاتِ صادقاتِ كأختي، الغيظ يتملكني من هذا الماجد، الجاحد، ليتني أستطيع الرد.

ولمَ لا.. فإمكانية الرد متاحة.. المحمول معي..

كتبت ردًا على رسالته:

"لا يهمني إن كنت تستحقني أم لا.. المهم أنني وجدت من يستحقني بالفعل".

لا أدري من حسن حظي أم من سوء حظي أنه شاهد الرسالة فور إرسالها، اتسعت عيناها عندما رأته يتأهب للرد بظهور عبارة.. ماجد يكتب الآن.

كتب:

"أعلم أنك تمزحين، غضبك وحنك وبكاؤك في الهاتف لي، جعلني مرهقًا، أشعر أيضًا بأنك مرهقة، لذا لن ألومك على غضبك وتفوهك بالهراءات".

يا لثقة هذا الوغد في نفسه، أختي المسكينة هي التي نفخت بالونات عنجهيته بيكائها وإلحاحها، سألقنه درسًا هذا الأحمق المتعجرف.

كتبت ردًا عليه:

“أنا لم أكن أبكي حزناً على فراقك، كنت أبكي فقط لأنني شعرتُ بالذنب نحوك، فطوال الوقت كنت أشعر بالذنب نحو شخصٍ آخر أيضاً، كان يحبني بصدق، وكنت لا أتمالك نفسي حين يخبرني بولبه وغناء دقات قلبه إن مررت أمامه، لم تكن تحبني مثله، لكنني اعتقدت أنك تحبني، كنت فعلاً مشتتة بين البقاء على علاقتنا الهلامية، والاستجابة له، وعندما أخبرتني بأنك ترغب في إنهاءها، حمدت الله أنه سبب الأسباب وحسم أمر حيرتي، لم يكن عليّ أن أشعر بالذنب نحوك...”.

ثم ضغطتُ إرسال.

قاطعها برسالة:

“تكذابين.. كبرياؤك مجروح وتهدين”.

رددت:

“ليس مهمًا أن تصدّق المهم أنني مرتاحة، سلام سأنام الليلة أخيراً دون لوم”.

أرسل:

“ردي.. أجيبي”.

فتحتُ محمولي، كان لدي حسابٌ قديم فتحتّه منذ عامين ولم أستخدمه، كان باسم “لولاك”. لم تكن أختي تعلم أنه لي، كانت من ضمن الأصدقاء على هذا الحساب، ثم عدتُ لمحمولي وأرسلت لها رسالة تقول:

“طوال الوقت كنت أراقبك، أنا ذلك الفتى الذي ما كان يغمض له جفن منذ رأيتك، أنا حقًا لا أعلم لماذا أرسل لك هذه الرسالة، لكن صدقيني ضقت ذرعًا بملاحقتك وأن الآوان أن تعلمي أنني أحبك، لا أجرؤ حقًا على الظهور أمامك وإخبارك بذلك، لكنني سأضع لك كل يوم علامات تدلك على الطريق لي”.

وخلدت للنوم.

استيقظت في صباح اليوم التالي على قرع أمي لباب غرفتنا، توقظنا، استيقظت أختي، المحمول ما زال جوارها، لم تلتف له، خرجت مع أمي وبقيت أنا أمثل أنني ما زلتُ على قيد النوم، التقطت محمولها بسرعة، فتحته بسرعة، وجدتُ هذا الماجد قد ترك أكثر من رسالة على فتراتٍ متقطعة، أقرب واحدة كانت منذ ساعة، مفاد تلك الرسائل أنه لم ينم ليلة أمس، ظهر له أن رسالاته شوهدت، ولكني لم أرد، تركته يحترق وقمت بعملية حظر له، وأغلقت المحمول وأعدته لمكانه وهرولت نحو فراشي مجددًا.

دخلت أختي الغرفة توقظني:

-استيقظي يا سوسنة.

رجوتها وأنا اصطنع النوم أن تتركني قليلًا، أمسكتُ بمحمولها وفتحته، كنت أراقب حركة عينهما، بحثت بعينهما على اسم ماجد فلم تجده، أيقنتُ أنه حظرها، وأنها أنهت كل الرصيد الباقي لها من الكبرياء،

وأن عليها أن تحفظ ماء وجهها بمحو أرقامه وكل ما يتعلق بذكره، بكت كثيراً بلا دموع حتى لا أستيقظ، بكت وهي تحظر أرقام هاتفه، ورسائله، بكت وهي تقذف بهداياه من النافذة، أمسكت الهاتف من جديد، فوجدت رسالة "لولاك"، كانت بمثابة مرهمٍ على جرح عميق، ربما لم تره ولن تره أبداً لكنها ابتسمت، شعرت بعد رؤيتي لابتسامتها أن أختي لا تستطيع الحياة دون أن تشعر أن شخصاً ما يراقبها بصمت.. شرودها طوال الوقت يعني أنها تحاول ترجمة العلامات القدرية.. لا أدري من أين جاءتني هذه القناعة.. ولماذا تريد إنانا الشعور بذلك طوال الوقت؟

سرعان ما وجدت رسالة أخرى من صديقتها نعمة، ردت بكبرياء بالك:  
"تعافيت، وفي انتظار قلم الكحل الذي لا يسيل، أحضريه في أقرب وقت، ثمنه بحوزتي الآن..".

مع الأيام كان لديها كحل لا يسيل.. وخطيب يحبها.. اسمه أشرف.

ظلت إنانا تترجم كل شيء حولها وتتذكر رسالة لولاك، كانت تؤمن فعلاً بوجود شخص يراقبها في صمت ومتيقنة بذلك، حتى إنها كانت تنظر كل ليلة لهـرٍ وثير الذيل لا يمل الجلوس جوار نافذة غرفتنا، كنت أتعجب كثيراً من حبها الجلوس جواره، ولولا رفض أُمي إبقاء الهرة في المنزل لاحتفظت إنانا به معنا.. أمور كثيرة جعلتني أندم على الرسالة التي أرسلتها لها من حساب لولاك.. أختي تنتظر كل يوم أن يظهر في حياتها

شخص يخبرها أنه من كان يراقبها.. أن يخبرها أنه هو بذاته من أرسل لها رسالة لولاك.

\*\*\*

منذ أن انتقلنا لهذه العمارة، ولا أحد يبادلنا الود من الجيران سوى العجوز حمدي وحفيدته، وعائلة الرشيدى التي تسكن الدور الرابع، كان لديهم شاب مرح اسمه أشرف كان يتودد إلينا كثيرًا منذ سكنا في العمارة. كل يوم يطلب شراء الكنافة والحلوى التي تصنعها أمي، لكن الأمر خرج عن هذا النطاق منذ رأى إنانا.. أما أخوه عماد، فكان شديد الانشغال، لم يأتِ ولا مرة لطلب حلوانا، رغم أن الحلوي لدينا كثيرة، حلوى أمي وحلوى البنات، متأكداً أنا وإنانا وريم أن الجمال الذي وهبه الله لنا يعوضنا عن كل المآسى التي مرت بنا، وبالرغم من أن إنانا لفت جمالها انتباه أشرف، كنت أنا لا أدري لماذا لا يلتفت عماد لي..

تقدم أشرف لخطبتها، كانت أمي متحمسة له جداً، شاب رائع حقًا يملك شقة ولديه عمله الخاص وكل الناس شهدت باحترامه وأخلاقه.

روى لي أنه كان يبحث عن فتاة مثلها منذ زمن، لم أكن أفهم ماذا يقصد بمثلها، ربما يعني مظهرها، فمظهرنا جميعًا كان محتشمًا طوال السنوات الماضية، سمعة السوريين في هذا البلد حسنة للغاية، معظم

الرجال هنا يقارنون بيننا وبين الفتيات المصريات اللاتي أصبحن يرتدين اليوم الحجاب غير كامل، بعد ثورة خلع الحجاب التي حدثت عام ٢٠٢٥ والتي لم تبقى على حجاب الكثيرات منهن، والبقية القليلة المتبقية يرتدينه بشكل لا يوحي بالاحتشام وكأهن غُصبن عليه، الشاب الذي يبحث عن زوجة الآن نادرًا ما يجد امرأة محتشمة كما نحتشم أنا وأختي، بالإضافة إلى تلك الفكرة التي يأخذها الرجال عنا هنا، فالسوريات معروفات هنا بحمهن لبيتهن واهتمامهن بأمر المنزل، يريد الرجل زوجة جميلة مصونة توفر لبيته البهجة والنظام والجمال وتدير كافة الأمور، لم أخبر أشرف أن إنانا ظاهريًا محتشمة لكنها تملك عقلية مختلفة تمامًا عن تلك العقلية التي تبحث عنها، أغواه جمالها وعفتها واحتشامها ولم يتمكن من معرفة عقلها الشارد وروحها المحلقة، لا أحد يعرف أختي مثلي..

كنت أظن أنني سأكون عونًا لها في الحياة إن سهلتُ هذا الزواج كي تتخلص من أسر أمي وخوفها المُفرط عليها، لقد كانت سترفض أشرف يوم أخبرتها أمي أن هناك شاب تقدم لها وهو ليس كبقية المتقدمين السابقين الذين كانوا ينظرون لنا كأسرة فقيرة هاربة من الحرب ويطمعون بتسخيرنا تحت اسم الزواج، لولا أنني تدخلت وأخبرت إنانا - عندما تركتنا أمي بمفردنا - أنه صاحب رسالة لولاك..

سألتني:

- ما أدراك؟

قلت:

- إنه أخبرني بذلك.. ووجد حرجًا في إخبارك فطلب مني أن أقول لك..  
(واصطنعتُ عدم معرفتي بالأمر)..

أصابها فرحة ما بعدها فرحة ووافقت على الخطبة.. متزينة بالكحل  
الذي أحضرته لها نعمة..

\*\*\*



كائنٌ شفاف..

سقط في حيرة..

لا يدري أي الأضواء يعكس وأي العتمات سيخوض..

مشتت بين العتمة والضوء..

كل من يمر يترك به أثراً..

حتى فقد هويته..

وتلاشى تحت البصمات والانعكسات والعلامات..

كان خطأه الوحيد أنه..

شفاف.

كائن الإنانا.





# جرم جرمن



يا أنت..

يا من سكنت معي في تلك المنطقة من الكون السرمدي، وتنقلت معي بين الكواكب، وحضرت روحك مع روحي كل أحداث العالم النوراني، أما أن لنا أن نلتقي في نقطة نتلاشى فيها؟ أم أنه كُتب علينا أن نتكرر، ونتلاشى ثم نتكرر في مكانٍ آخر؟

لقد عشنا معًا كل ما يُمكن أن يُعاش في هذا الكون المنظور.

متى نستريح؟

أخبرني متى حقًا يمكننا أن نسترخي ونقول أننا انتهينا.

أجرمنا الجُرم الأكبر وعشقنا، أصبحت مصائرنا واحدة، تحولنا لجرمين سماويين في طبقةٍ عليا من الكون، ارتطما ببعضهما البعض، فالتقطت أرواحنا بعضها بعضًا دون انفصال وشكلنا كيانا واحدًا، أفتح في لأنحدث، فتتحدث انت بما كنت - أنا - سأقول، ترفع عينيك لتنظر لي فتراني أنظر لك، نعيش معًا دون أن نستشعر الكيان الماديّ لبعضنا البعض، فقط هي أرواحنا التي تحرك فينا كل شيء، إن أنانا العليا متحررة جدًا وناضجة جدًا، إننا ندرك جيدًا من نكون مع كل تغيير يحدث لنا جراء التغيرات الكونية المحيطة بنا، لأننا لا نهتم إلا بأرواحنا فلا جسد يشتمني ولا يد تلمس ولا قدم تسيرو ولا عين ترى، بصيرتنا فقط هي التي ترى وتوجهنا، يفصلنا عن كل كوكب آلاف الفراسخ الفلكية.

يا سيد الفلسفة والماورائيات وحدك تشكل لي ميتافيزيقيا الكون، وأنا  
أنتهي "إليك" بل أنا منك.

"أناي" التي ما عادت تقوى تلافيف عقلها على الاستقامة منذ  
اقتحمت مدارات المجرة، وأنا التي ما كان يعوج لها مسار مهما زادت  
عقبات المدار وتناثرت حولها الأجرام.

يا جُرْمي الوحيد تأهب معي لنكوّن المجرة.

ذات ترقّب رأيت "الكوافيرة" تفك شفرات النساء..

فمن تطلب قص شعرها تمامًا، تعلم أنها تعيسة..

ومن تطلب تغيير لون شعرها، تعلم أنها مقبلة على حياة جديدة..

ومن تطلب الباديكير والمانيكير.. تعلم أنها اعتنقت رجلاً..

ومن تطلب تمليس شعرها، تعلم أن لديها رقصة الليلة..

أما أنا فكانت أراقبها وهي ترسم حياة كل واحدة منهن، بمنتهى البراعة،  
وعندما اقتربت مني لتسألني عن طلي، أخبرتها أنني، سأعيش في المجرة..  
أعدّيني لذلك من فضلك.

فوقفت محترّةً للأمري، فهي لم ترسل فضائيات قبل ذلك للسماء.

\*\*\*



# السيدة صابونتا



(إذا أردت معرفة شخص من الداخل، فابحث في مصير أمه)

بالرغم من لهثها وراء النظافة الكاملة، الأمومة الحانية، انزلقت وسقطت في فخ الندم، تغسل يدها.. لا تدري مما كانت تريد أن تتطهر؟ لا تدري لماذا كانت تصر أن تكوني باذخة النظافة..

أتستهلكك الصابونة التي تتقلص بين يديك مع الأيام أم أنت التي تستهلكينها؟

الإجابة الظاهرية لهذا السؤال هي أن الصابونة هي المستهلكة، لكنها سرعان ما غيرت الإجابة عندما شعرت بجفاف يدها وبداية ظهور تلك التجاعيد، هنا بدأت الدخول في غيبوبة التفكير في رحلة استخدام الذات لإسعاد الآخرين أو حتى تحقيق الحد الأدنى من إرضائهم، هذا ليس بالأمر الهين، فالإفاقة من هذه الغيبوبة لن تحدث إلا بعد أن تُصدم بتلاشيك، تضاولك، وأنك في الطريق إلى اللاشيء.

على هذه الحقيقة استيقظت تفيدة، السيدة الخمسينية التي يخمن من يرى وجهها أنها فوق ستينية، كانت كالديك الذي يشيح بوجهه في جميع الاتجاهات، تبتغي رؤيتهم حولها، لكن لا أحد، أين هم من أفنت لأجلهم طراوة هاتين اليدين المجعدتين؟! أين من نظفت القناديل المتربة من أجلمهم؟ أين من طحنت لأجلهم الفول لتطعمهم الفلافل ثلاثين عامًا؟ أين هم من وقفت ساعات اتقاد الشمس لأجل انتظارهم خلف بوابات



لجان الامتحان؟ أين هم من طبخت لأجلهم آلاف الدجاجات، وقدور الأرز والحساء؟! أين هم من حفرت دفاترهم معهم تخط الحروف والأرقام وتمسك بأناملهم في محاولاتهم الأولى للإمساك بقلم أكبر من أيديهم الصغيرة؟

القناديل والفول والانتظارات والدجاجات والأرز والحساء والليالي والسهر والمخاض والتعب، كل هذه الأشياء استهلكتها تمامًا، كانت تظن أنها هي من تستهلك الأشياء لأجلهم لكنها الآن استوعبت الدرس جيدًا وعلمت أن كل تلك الأشياء هي التي استهلكتها مقابل لا شيء فالإجابة أن لا أحد بالجوار، كل الذخيرة التي جمعتها ليوم كهذا اليوم، نفذت فجأة، ولم تعد هنا ولا حبة وفاء واحدة في أشد فصول الجفاف والاحتياج وتقوس العظام، صرخت بصوت مسموع: أعيدوا لي الكالسيوم الذي تشكلت منه عظامكم يا أوغاد.

لكن لا أحد هنا ليرد.. ملت منهم فجأة.. غادرتهم لتعيش لنفسها لكنها لم تستطع.. فشبابها الذي ضاع لن يعود من جديد.. رحلت.. هجرتهم وتركتمهم.. من كبيرهم لصغيرهم "نزار".

إنها أزمة ما قبل نهاية العمر، أرادت العودة لرحم أمها الآن، كانت تجيد فعل ذلك، فبمجرد أن تحيط نفسها على الفراش بغطاء وتقوِّع روبياني منكمش حول ذاتها ومشيمة تربط ماضيها بحبلٍ سريٍّ ممتد من ذاكرتها لتلك الأيام التي كانت تستهلك فيها أمها..

تسمع وهي في طور الجنين همساً من الخارج ينادي "يا ذكري  
وذخيرتي". وعندما لبت نداء الخروج بخروج، لم تكن لأمها لا ذخرًا ولا  
ذخيرة.. أهي لعنة المثل القائل: "كما تدين تدان"؟

أهذه يا ترى سنة الحياة؟! حياة تبنى لإحياء حياة أخرى ثم نقول أنها  
سنة الحياة؟

نادت تفيدة من جديد، بلسانٍ هو آخر ما تبقى فيها، ولم يسمعها  
أحد، ندمت على أمومتها، صفعت نفسها وبكت وصرخت، بالرغم من  
أنهم جميعًا كانوا حولها، لكنها لا تسمعهم ولا تراهم ولا تشعر بلمساتهم،  
هي لا تشعر ولا تذكر سوى الماضي، الفناء والتفاني، الزهايمر والعمى  
والصمم وموت الخلايا العصبية كان نتيجة هذا الإفناء، إنها الشيوخوخة  
المحتمة، لطالما وثقت أنها تعمل لهم لأجل أن يحملوها في هذا الوقت  
بالذات لتستمتع بجوارهم، لكن هيات فكل سبل الشعور ماتت ولم يتبقَ  
من هذه الصابونة سوى رائحة التضحية ظلت عالقة في أيديهم..

آلت في النهاية لسرير في دار للعجزة، لا تغادره، كالحية الميتة، تاركة  
نزار أصغر أبنائها لجدته تربيته.



فتح حقيبته، أخرج منها ورقة وقلماً، وبدأ يرسم، لم يكن رقيقًا  
بالورقة، فكاد يمزقها بثقل سن قلمه وهو يحفر فيها ملامح صغيرة، لم

يكن برسامٍ لكنه كان فنائاً، حاول أن ينهش من مخيلته تلك الملامح  
ويصحبها على الورق..

ثم ركض نحو جدته ليخبرها: هذه التي ستظهر..

نظرت الجدة لحفيدها بتعجب.. فقد ظنت أن الحديث المتواصل قد  
انقطع وأنه ذهب يلعب، لكن الحقيقة أنه ذهب ليرسم لها ما رأى علّه  
يستطيع بذلك تقريب الصورة..

- لم أكن أعلم أنك تجيد الرسم لهذا الحد يا نزار.. الله عليك يا  
حبيب قلب ستك.. هذه والدتك؟

- أنا لا أرسـم أـمـي لأنها تركتني ورحلت.. كنت أظنها لن تتركني.

عانقته وشرّد قلبها المنتشي برائحة حفيدها بين شوارع الحنين  
القديمة لأمومتها، حنينٌ ساخنٌ من الطراز الذي يُضني، فلا أمومة أسمى  
من تلك التي تكون بين جدّة وحفيدها.. أنهاز متدفقة لاذعة لا مرئية تشق  
الخد والشغاف، تواسي به ندبات الماضي والمستقبل، إنه لها أكثر من  
حفيد.. دلتته كثيراً.

- إذًا من هذه التي رسمتها يا نزار؟ (سألت متغاضية عن رده وحديثه  
على نحو سيء عن والدته "تفيدة").

قاطع شرودها وقال:

- رأيتها يا جدي.. إن تلك الفتاة التي رسمتها أراها كل منام..

داعبته الجدة التي أرادت أن تجاريه بصوت ممزوج بالبهجة:

- إِدًّا سأزوجهَا لك عندما تكبريا نزار.

الجدة المسكينة لم تكن تعلم أنه سيتزوج بطريقة الفسيخ عندما يكبر.

\*\*\*



\*\*\*

في الثانية والعشرين من عمره، نسي تلك الفتاة التي رسمها على الورق، غابت عنه كما غاب عنها مع غياب ألعاب الطفولة التي كان يحبها، كان يذكر أنه يحب ألعاب الذكاء والألغاز، كان يظن أنها ستفيده

في السيطرة على البشر عندما يكبر، نسي شيئاً فشيئاً خطوط رسم وجه فتاة أحلامه وذهبت شاعريته مع الريح، مع أنهما التقيا من قبل كثيراً دون أن يدركا أنهما التقيا.

أهو المجهول يعبث معه؟ إن هذا الشعور هو ذاته الشعور الذي يراودك عندما يقابلك أحدهم مصادفة وتشعر أنك التقيته من قبل، لكنك لا تذكر أين ومتى؟ ربما أثناء تدخين سيجارة فشكلك الدخان وجهه، أو متصادماً معك ليصير وجهه لوجهك عند باب أحد المقاهي، أو أن تلك الملامح مجمعة من وجوه أناس كانوا قريبين ورحلوا أو ابتلعهم الغياب، أو ربما ظلها أضغاث أحلام، على كل حال.. لم يكن يستحضرها أو يستحضر تلك الأفكار إلا عندما يكتب، الحياة أخذته، العمل، الأيام، وحفيدة العجوز حمدي التي تورط في الزواج منها بطريقة الفسيخ، نمط حياته الرتيب الخالي من التحليق جعله كبطريق، يترنح نحو التجمد، سار بطريقٍ يذوب... وعاش بطريقاً.





كل الحروب التي قامت على هذا الكوكب قامت لأن أشخاصا قرروا  
فجأة التدخل في حريات أشخاص آخرين، ولما حدثت مقاومة، كانت  
الحرب.

فلماذا لا تكفون عن التدخل في حياتي؟

إنانا

## أنثى السلطعون

و

### (الحياة على الأرض اليابسة)

كتب عنوان المحاضرة على السبورة، المرأة بين الأيدلوجيات الغربية والشرقية.

ودون أن يدخل في تهيئة أو مقدمات قال:

- أفلام الحركة التي تصنعها أمريكا لا تكف عن وضع المرأة في دور المقاتلة، الخارقة، كفيلم المرأة القطعة مثلًا، ودائمًا وأبدًا تتكرر نفس الأنماط.. كفريق من الأبطال المنقذين والمحاربين للشر وبالطبع لا يخلو الفريق من امرأة تقفز وتقاتل وتصنع المعجزات، غالبًا ترتدي بدلة من الجلد أو ترتدي المعدن، هذه هي صورة المرأة الخارقة التي تصدرها لنا الأفلام الغربية، ونحن..

قاطعته إنانا:

- دكتور سامي، عذرًا للمقاطعة لكن عليّ المغادرة، بعد إذنك.

أراد إحراجها لشيء في نفسه:



- لماذا المغادرة؟

- لأمرٍ خاص.

قال متخذًا أسلوب الصدمة:

- ستقابلين شابًا؟

كانت تستحي حياء رجلٍ ريفي قدم المدينة للتو، مبتعدًا عن مانيكانات واجهات محلات الملابس النسائية مقدار خمس خطواتٍ للوراء، حتى يكاد يسقط من على الرصيف، هذا لو أن هذا الحياء لرجل ريفي، هذا النوع من الحياء يتضاعف ممزوجًا بسذاجة في حال أنها فتاة، ويصبح نقمة في حال كانت فتاة منغلقة ساذجة تريد الانفتاح لكن لا تدري له سببًا وسطًا مربوطة بحبل تقاليد أمها المتين.. شعرت بالهوان بين تجمع حضاري كهذا، بسذاجة حيائها الريفي النقمة، لم تستطع الرد، تغيرت فقط ملامح وجهها عندما سمعت ضحكات المدرّج أجمع، أخذت حقيبتها وركضت نحو الباب في خطواتٍ رخوة بلهاء متعثرة بخيبةٍ ما.. وخرجت.

لم تكن ترى أمامها من شدّة ضيقها، وأسئلهُ "لماذا" تقفز أمام عينها، لماذا أخرجني؟ ماذا سيستفيد؟ لماذا استهتر بي دونًا عن بقيّة طالبات المدرّج؟ لماذا لم يكن متفهمًا؟ لماذا عليه أن يكون ظريفًا على حسابي؟ لماذا يجعلني عبرة وعظة للمدرج ليخشوا التحدث معه؟ لماذا أخرجني مع أنني طلبت المغادرة بكل أدب؟

لم تجد إجابة سوى أنه حقير، إنه دكتورٌ حقير، وهي لن تغفر له فعلته، لكن كيف سترد إهانتته وهو الذي بيده جعلها تحمل أذيال

الرسوب وضياع تعب الست مهدية هذا العام وكل المصاريف التي تكبدت عناء تجميعها من بيع حلواها المرّة، وجعل العمارة بأكملها تتحدث عن خيبتها المخزية، وأحاديث من عيّنة "شوف لفت على مين في الجامعة، شوف البنت لما عينها بتتفتح على رفاهيات المدينة وتختلط بشباب الجامعة بيحصلها إيه".

لم تكن تعلم فعليًا كيف لها أن تسير بين هذا الجمع مجددًا، فاتجهت هاربة نحو البحر، إنه المكان الوحيد الذي يشعرها بقرب نهاية العالم، بمجرد النظر للبحر تنذكر الصراخ، العطش، تهتز الأرض تحتها ققارب يقاوم الموج، ما زالت تحاول التأقلم مع هوائه المحمل برائحة اليود والملح، لكنها لم تفلح في عقد صلح مع البحر أبدًا.. أعطته ظهرها وقررت المغادرة بعد أن زادها منظره اختناقًا، فصادفت كابوريا تسير على الرمل، كانت تسير بمنتهى الثقة، مدرعة مصفحة قابلة لمواجهة أي شيء، دار في ذهنها أن الله خلقها لتسير على اليابسة بكل هذه الاحتياطات، بالتأكيد حتى لا يستبيحها البعض، ثم تصدر مشهد إحراجها في المدرج عقلها من جديد، كانت بأئسة يؤسًا ظاهرًا يُظهرها ضعيفة وهشة للعاشرين، فلم تسلم مجددًا من بذاءة معاكسات المارة، كان عليها أن تقرر الآن، إما أن تتحول لأنثى السلطعون المصفحة، أو أن تلمم خيبتها وتضعها في حقائبها وتتجه لمنزلها تخبز وتصنع الكنافة والجلاش مع أمها.

سرعان ما قررت، وكان قرارها قيد التفعيل، اتجهت نحو مبنى الجامعة من جديد فهو على مقربة من البحر، ثم صعدت لمكتب عميد الكلية، طلبت مقابلته، انتظرت حتى فرغ مكتبه ثم دخلت، سألتها:

- تفضلي. ما الأمر؟

- أريدُ تقديم شكوى بعنصرية الدكتور سامي عبد المهيمن، استاذ

مساعد مادة الأثرولوجي.

- أنتِ متأكدة مما تقولين؟

- لقد عرف أنني سورية وبدأ بمهاجمتي فجأة دون سبب يذكر، فأخرجني اليوم في المدرج أثناء المحاضرة وبإمكانك التحقيق في الأمر مع طالبات وطلاب المدرج، ولكن رجاءً، في سرية حتى لا يهددهم بالرسوب ويجعلني أرسب أنا الأخرى.

بعد التحقيق في الأمر، كانت كل الشهادات لصالحها لأن أغلب الطلبة ذكور.. وفقاً للترتيب الهجائي فإن حرف الألف لهذا المدرج كان أغلب الأسماء آدم وأحمد وإياد، وكانت بين عدد كبير منهم، مستغلة شريقتهم وتعاملهم معها باحترام، لأنها الوحيدة المحجبة من بين ثلاث فتيات أخريات.

تم فصل الدكتور سامي، الآن لم يعد يملك أي صلاحيات، لذا وقفت أمامه متصفحة الوجه متبلدة الأعين وهو يغادر مكتب العميد قائلة:

- سؤال يُلح عليّ.. لماذا فعلت ذلك معي؟

نظر إليها:

- أردتُ إضعافك وإعادتك لبيتك، استخسرتك في الحياة المفتوحة، وجدتك محتشمة وفي حالك فقلت أحافظ عليكِ وبيتك أولى بكِ، حفاظاً على غضاضة عودك واخضاراه، حتى لا تتحولي لامرأة معدنية، راهنتُ على ضعفك لإعادتك، الآن تستطيعين الحياة هنا يا إنانا.

تعجبتُ كيف يفكر هكذا دكتور جامعي في عام ٢٠٣٠.. إنه بروفيسور مادة الأثرولوجي.. مادة الإنسان. كيف يريد سلب حقي الإنساني في

التعلم؟ كيف سمح لنفسه بالتدخل في حياتي ومحاولة سجنني في البيت دون تعليم، هل حجائي يشير إلى أنني لا أصلح سوى للبيت؟ كيف فكر هذا الرجل؟ إنه لا يراني سوى امرأة، يريد تجريدي من الأحلام.

كيف أعطى نفسه الحق للحكم عليّ بمظهري، وأراد أن يخطط لي حياتي بالنيابة عني؟ لست نادمة أبداً على ما فعلته، الحمد لله أنني تصرفت هكذا.. لم أشأ أن أخبر أشرف بهذا الأمر.. لا بد أن أحتفظ بهذه الأمور لنفسني، حتى لا يتحسس بطحة رجولته.. لا أحتاج لرجل يأخذني حقي.. أنا قوية بما يكفي لأفعل ذلك.

مر على خطبتهما عام كامل، مر بين دراسة إنانا وانشغالها الشديد بالمشاريع النهائية التي ستقودها للتخرج وبين انشغال أشرف بالإعداد للزواج.. حتى فاجأنا بتحديد يوم زواجهما.. إنه الخميس القادم.

سمعنا جرس الباب، فتحت ريم، ترك لها العجوز حمدي دعوة لحضور حفل زفاف حفيدته، الذي سيقام يوم الخميس القادم، إنه نفس اليوم الذي تحدد فيه حفل زفاف إنانا على أشرف، لذا كان علينا الاعتذار عن الحضور بشكل لائق.

السيدة مهديّة كانت الفرحة تملأ وجهها، أخيراً وضعت إنانا التي كانت تخشى جموح أفكارها في قفص الزوجية الآمن، وعليها أن تستعد لفعل نفس الشيء مع سوسنة وريم. لم تحملها سوسنة عبء هذا الأمر، فسرعان ما تقدم لها عماد أخو أشرف وخطبت له، بينما بقيت ريم بين كتبها ودراستها.

\*\*\*

٢٠٤٠ م

عشرة أعوام وأنت تلهث وراء كل شيء لإشباع حاجة كل شيء دون أن تنظر مرة واحدة للمرأة وترى كيف أصبح وجهك شاحبًا، استهلكتك المادة وأنت الذي كنت تظن أنك من يستهلكها، لم تلتفت للروح التي تسكنك كما التفت أنا لك منذ زمن، مع أنك بالنسبة لي روح أيضًا، لو أنك لبيت نداء روحك لكنت ستقودك لروحي بالتأكيد، عشرة أعوام أمضيتَ فيها شبابك في لا شيء..

\*\*\*



روح



لم يشعر بذلك الحب الذي يُحدث اهتزازت داخلية بعشرات الرخترات، قاده الزواج من يده وهو مغمض العينين نحو "الأبوة" فما انتهى من عامه الرابع والعشرين إلا وهو "أب" لطفلين جميلين، ليخرج من هذا الحب بعد عشرة أعوام وهو في منتصف الثلاثين من العمر بانفصالٍ أدمى قلبه نتج عن اللافاق، وربما اللاحرية، أو زيادة في ملح الفسيخ، ترسبات الزواج سبب كافٍ جدًّا لحدوث الطلاق لكن أبوته كانت تؤرقه فيفكر بالعودة، تذبذبات لا يمكن أن تحدث إلا من حُر مجنون يريد شراء حريته والحصول في نفس الوقت على أبوته قبل أن تضيع من عين طفليه فيكبران دون ان يلح شكر أبوته في أعينهم. كان يريد كل شيء.. كل شيء.. دون أن يفقد شيئًا.. لذا فضل المكوث مع زوجته وصغاره متراجعًا عن فكرة الطلاق، لأجل الواجهة الإجتماعية التي يتطلع لها ككاتب، يريد أن يراه الجميع في صورة زوج ممتاز وأب متفاني.

كان يشعر طوال الوقت أن روحه غائبة، كنت أستشعر ذلك من كتاباته وشروده، وقتها فقط شعرت بوجوده حولي، عندما شعرت أنني أنقصه تحركت نحوه، فكما يقول باولو كويلو في قانون الجذب أن الأشياء التي تفكر فيها تاتي حتمًا إليك، تتسخر جميع القوى لإعادتها لك أو لجليها لك، وها أنت قد استشعرت أنني أنقصك وها هو القدر يسوقني إليك.. عثرت عليك أخيرًا، ها أنت تسير، تركب سيارتك، تصعد لمنزلك،



تتناول غداءك وتنام، تداعب طفليك، تشاجرك زوجته، تترك الجميع وتدخل غرفتك.. تتصفح الإنترنت..

وتكتب على حسابك الفيسبوكي: هناك ثقب أسود كبير يبتلع العمر.

يا الله.. أنت تتحدث دائمًا عن الثقب الأسود، تتحدث دائمًا بلغة المجرة التي كنا نتحدث بها معًا.. وبجولة سريعة في حاسوبك اللوحي الذي تركته مفتوحًا هنا، استطعت أن أرى عن ماذا تكتب.. أنت كاتب موهوب، لم أكن أتصور أن أغلب مؤلفاتك في علم الفلك النفسي، الروحاني، تدور حول سير الأقدار وفناء الأعمار وكأنك الفلك الذي يستشف منه المنجمون أقدارهم فيما يسمى بعلم الأبراج، استطعت أن آخذ فكرة عن مؤلفاتك سريعًا عندما زرت مكتبتك الرقمية.

مهلاً، لقد أغلق الحاسوب اللوحي فجأة، هل تعرف على بصمتي، لكن كيف مع أنها هالة؟! ما هذا الحظ؟ عليّ أن أعيد فتحه مجددًا، لكن أنا بحاجة لمعرفة كلمة السر التي تخصك، ترى ماذا ستكون؟ إنه تحدي وضعني القدر فيه ليرى ما إذا كنت حقًا أستحق أن أكون قرينتك الروحانية أم لا، عليّ أن أؤمن، بالتأكيد ستكون شيئًا يشغلك أو تعتبره أهم شيء في الحياة، بالتأكيد لن تكون اسمي طفلي لأن زوجتك ستجربهما وأنت أذكي من أن تضع بين يديها كلمة سر جهاز أسرارك هذا، أجزم أن هذا الجهاز هو ثقبك الأسود الذي يبتلع كل طاقاتك السلبية، إنه مجرد شعور.. لا أريد أن أشرد وأتناسى أمر كلمة السر، أممممم. وجدت أصابعي تضغط على أزرار كلمة "روح"، بسيطة جدًا من ثلاثة أحرف، وفي تناول الجميع، لكن لا يستطيع الجميع إدراكها على نحو

عميق، غائبة أصلاً عن أذهان الجميع، فالجميع يلهثون خلف المادة متناسين "الروح" تمامًا، وها هو الجهاز ما زال قيد التحميل.. لقد فتح.. إنه يعلم أداً ما ينقصه..

أخذت أمر على صورته، ذكرياته القديمة، رسالاته وطفولته، صور لجدته وصور لأطفاله معه، ما هذه الملامح التي يكسوها الشجن ممزوجةً ببسمة عطشي؟ أنت على الأرض إذاً السيد الحزين الذي يزوره الشجن كل ليلة، على عكس ما كنت عليه في المشتري وزحل وعطارد. كنا على عطارد نعاني من تأثير الأرض علينا عن بُعد بالشجن.

هناك ملف آخر مغلق بكلمة سر.. لم أستطع فتحه، حاولت كثيرًا لكن ولا كلمة سر تمكنت من فتحه. يبدو أن هناك أبوابًا مغلقة داخلك ما زلت لا أستطيع الوصول لها، لكنني مؤمنة جدًا بما وصلت له فيك.

أنا متأكدة أن عطارد والكواكب الأخرى تؤثر أيضًا عليك رغم أنك على الأرض، فجميعها تكوّن مجرة واحدة، لقد كنا متشبعين بتأثير عطارد علينا، فقد كنا كثيري الحركة، راغبين دائمًا في التجوال والسفر والتنقل، لا بد أن عطارد كوكب التواصل ما زال يؤثر عليك حتى وأنت على الأرض يا نزار، لأنني أراك تكتب الكثير من الرسائل وتجيد استقطاب الآخرين، الآخرين أيضًا يحبون التقاءك، يحبونك، لم تتغير يا نزار أنت كما كنت.. ما زال عطارد يؤثر عليك. بالرغم من أن عطارد له جانب مظلم، لا تصل له الشمس.. فإنني لم أر فيك حتى الآن سوى الجزء المضيء.

عشرة أعوام وأنت تلهث وراء كل شيء لإشباع حاجة كل شيء دون أن تنظر مرة واحدة للمرأة وترى كيف أصبح وجهك شاحبًا، استهلكتك

المادة وأنت الذي كنت تظن أنك من يستهلكها، لم تلتفت للروح التي تسكنك كما التفت أنا لك منذ زمن، مع أنك بالنسبة لي روح أيضًا، لو أنك لبيت نداء روحك لكانت ستقودك لروحي بالتأكيد، عشرة أعوام أمضيتَ فيها شبابك في لا شيء..

نعم، بالنسبة لي زواجك هذا لا يعني شيئًا، زواجك ما هو إلا طيش عشريناتي نتيجة جلسة عصاري مع عجوز خرف، هذا الزواج كان نهاية لا تليق بك، الزواج وثيقة تضمن للكثيرين حدوث أشياء مادية لكنه لا يضمن لهم أن تسير الأمور العاطفية بشكل جيّد، ليس هناك وثيقة على هذا الكوكب تضمن لك سير العاطفة والمشاعر على نحو جيد، الزواج يا نزار حولك لآله، وعاطفتك نحو من أحببتها ذبلت مع الأيام لأن روحك وروحها لم يتقابلا من قبل كأنا وأنت، لأنك لم ترسمها وقت كنت طفلًا في ورقة، لأن ملامحها لم تمر عليك، الآلات تفسد دائمًا المادة العاطفية الخام التي يشتعل بها الحب، وعند وثيقة الزواج وبصمات الأصابع وتوقيع الشهود في ورقة ملموسة.. ينتهي كل شيء محسوس، إلا إذا تدخل تآلف الأرواح.. نفس تآلف الأرواح هذا الذي قادني إليك.

ربما أراك ضحية لأنني شعرت بمعاناتك في ما تكتب، لكني لست متيقنة من ذلك، هناك دائمًا شيء يذكرني بملفك المغلق الذي لم أستطع فتحه، ترى ماذا تخبئ فيه يا نزار؟ أتخبئ فيه ثقبًا أسود؟

ما لي أحادثك طوال الوقت دون أن تجيب؟! ودون أن تستجيب، ألهذا الحد صعب عليك ان ترى روحي التي تفقدها، أيجب أن أحضر امامك بجسدي وروحي معًا لتراني؟

إن أكثر ما يؤلمني هو فقدانك لذاكرتك، مذ فقدت ذاكرتك النورانية ونسييتني ونجح الغياب في تغييبك وأنا أشعر بالتيه، يقتلي الفقد وما أدراك ما الفقد، إنه وخز الذاكرة، للذاكرة أشواك، تستخدمها فقط عندما تنمو صبارات الفقد في أصيصات تصطف على نوافذ روحك وقلبك وعقلك، تخزن ماء الدموع داخلها لتستمد منها استمراريتها فتقسو أشواك الذاكرة وتوخزك كلما هب هواء المفقودين ودخل من تلك النوافذ، تطير الشوكات فتصيبك برأسها وكأنها سهامٌ وُجِهت نحوك تحديداً بقوس، وأنت يا مسكين لا تعلم أن الرامي هو في أغلب الأحيان "الحنين"، الحنين لذاكرة لست متأكدة من وجودها، يا للعبث.

\*\*\*

أخبرني..

أكنتَ أنت من كان معي تحت شجرة التفاح وقت كنا نورانيين؟

أسألك لأن أرواحنا القديمة كانت هناك..

أم أنت ذلك الهربلون المشمش الذي كان يموء لي وأموء له..

أم كنت أنت الشجرة ذاتها تُسقط عليّ التفاح قلوبًا حمراء..

وعندما قضمت إحداها.. نزلنا معًا للأرض.. أتذكر؟

\*\*\*



## غرف الفناء

(قبل النوم على شيزلونج الطبيب النفسي.. خذ جولةً في الشارع)



تحت سريري الكثير من الأفكار الشريرة المخبأة في حقائق أمي التي خزنت لي فيها ملابس الزواج منذ كنت طفلة، يعلوها ترابٌ رشوته سابقاً بوعده، كان الوعد أن أعطي به كل ما أردتُ إخفاءه، وذلك الوعد يحاول ضمي إليه. كل تلك الأسقف العالية لا تستطيع إنقاذي منه، فبإمكانه ردمي حتى يصل إليهما.

أنا لا أتحدث فقط عن الوعد.. أنا أتحدث عن أشرف، ربما صوت هذه الريح يندرنى بعقاب ما.

أقم الصلاة على روعي التي كانت تأمل في التطهر من قداسة حبٍ اغتال فيها الوفاء في أوج لحظات الغياب. فالوفاء في الغياب.. ثقل يعادل وزنه ضعفي وزن الوجد الناتج عن الحنين، لم أكن أهلاً للتحمل.. لم يعد بإمكانني تحمل فكرة الخضوع بجسدي لرجل، أشعر أنها خطيئة كبيرة رغم الزواج، أشعر بالدنس، لا يمكن أن تكون هذه نهايتي، وكأن روعي غابت وحل محلها جسد فقط.. جسد جثة..

لا يمكن أن يكون أشرف هو الروح التي كانت تراقبني بصمت كما أخبرتني سوسنة.. حتى إن تزوجني، إن رغبته في جسدي أكدت لي أنه لم يكن تلك الروح.. ليس هناك ثمة روح تشتهي جسداً.. أنا متأكدة. كنت حزينة في ليلٍ لا يكفُ عن صفعي، شرودي جعلني أوقف أشرف من نومه لأسأله:

-أأنت متأكد أنك من كان يراقبني بصمت قبل أن أوافق على  
خطبتنا؟

نظرتي وعينه كلها نوم، وقال:

-لا، كنت أمازحك.. اتركيني الآن لأنام فأنا مرهق.. أرهقتني يا شقية.

كلماته كانت مسامير، كشفت ثغرات مساماتي التي ما كان يسدها غير  
روحك، ألملمها فتجرح يدي، فتنزف مواضع قبلاتك النورانية فقدًا،  
ورميم عظام قلبي ما زال في مرحلة الفُتات، أناشد إله الغياب أن يعفو  
عنا ويغيب، لم أكن أعلم أن أشباح الغياب قادرة على صفعنا بهذا  
الشكل. لعنتُ الغياب ألف مرة في سري وفي علي.. فأرسل لي لعنة.. وغبت  
فلم أعد أذكر الآن من هذا الذي يرقد جوارِي.



عشرة أعوام وأنا أنتظر قدومك لي، لكنك كنت تدور مع كواكب  
المجرة السفلى ناسيًا أن لنا مجرة عليا وحدنا.

كنت أناشد الشهود من الهوام المحيطة بي وعفاريت المرايا التي  
تعكس أناتي وأناتك..



بأن..

قولوا لذلك المُحتال..

إن فَقده أفقدني صوابي..

أفقدته للحدِّ الذي أفقدني فيه..

وأفقدته كل ليلة في عُرفِ "الفاء"..

في فجرٍ كهذا الفجر، وفجورٍ يملأني به..

وفضيلةٍ لا ترتديني إلا معه، وفلسفةٍ لا ينطقُ إلا بها..

وفتنةٍ لا تُصيبني إلا أمام عينيه، وفشلٍ في نسيانه..

وفقدٍ يؤكد حضوره كل ثانية في عُقر ذاتي..

فلذةٌ قلبي أنت.

روح أخرى تسكنني، مؤمنة بوجودها، أأكون سوية وأنا أناجيه كل

يوم؟ لم يكن بإمكانني تحمل كل ذلك الضغط، أنا لست بخير..

خرجتُ أبحثُ عن طيبٍ للذات، قبل حلول "المجهول" هادم اللذات،

ولوحةٍ معلقةً على قضبان الهذيان عليها اسم الطبيب "الدكتور منير

السيرجاني". استشاري نفسية وعلاج الإدمان، لم يكن يهتمي أمر

النفسية.. أريد فقط أن يعالجني من الإدمان.. إدمان روحك، صعديت

الدرج لأحجز من ساعاته ما يجعل ساعات عمري القادمة أكثر سلامًا،

أخبرتني الفتاة المسؤولة عن المواعيد أنه سيأتي في السادسة والآن هي

الخامسة، قلت لا بأس سأخذ جولة في شوارع المدينة ريثما يأتي.  
وعلى بُعد خطوات..

رأيتُ شابًا يبيع الخُلي على ناصية الرصيف، ممسكا بهاتفه النقال،  
اقتربتُ أشترى، وجدته يتحدث مع زوجته التي تريد الذهاب للطبيب  
فيخبرها أن لا مال لديه، اشتريتُ منه قرطاً من اللؤلؤ الصناعي، وقبل أن  
أغادره سمعته وهو يُطلقها. ليثني غادرت قبل سماعها.

وفي نهاية الشارع كان هناك طفلٌ يتسول فقد براءة ملامحه فجأة  
وصار الشيب يكسورأس التجاعيد في روحه، دخانٌ كثيف يغطي وجوه  
الناس متحججًا بأنها قبيحة لا محالة، شاب يبيع أغذية الرؤوس  
النسائية، فلما سقط نظره عليّ ولاحظ أني محجبة، تمسك بأن أقف  
وأتفقد بضاعته التي لم يعد لها رواج، سألته عن سعر واحدة فورطني  
بشراها، لا أدري كيف حدث ذلك لكنه أخذ يرتديها ليقنعني أنها مريحة  
ورائعة حين تُرتدى، كم أشفقت على رجولته التي بعثها أمامي لأجل  
بضعة جنميات، لتكتمل به أيقونات القبح التي صادفتني في جولتي.

أين طبيب هؤلاء؟ أين غاب سلامهم؟

عدت لفتاة المواعيد القابعة جوار مكتب الطبيب النفسي، وألغيت  
الموعد، مدركة أن كل غرف الفاء التي زرتها كانت من "فراغ".

\*\*\*

ما كنت تريد فعله في الواقع بوعي منك..

سيحدث في حلمك دون وعيك.

\*\*\*



## اليسار الأيسر



على مقربةٍ من تلك الوجوه التي جاءت تتخلص من حيرتها، بدأتُ أقرأ مفردات التيه الظاهرة بشدة في العيون والمسامات، هي المرة الأولى التي أتاحت لي الفرصة أن أكون هنا، لم أكن أتوقع أن أجد كل هذا الكم من فاقدى الإحساس بالحياة من البشر، أو ربما فاقدى التوازن مثلي، حتى هاتين الفتاتين البدينتين ذوي الوجه المحمل بكم كبير من المساحيق، لم يغادر ذات التيه وجههما، زاد عليه فقط المزيد من الارتباك مع عبوسٍ من النوع الذي يخرج من القلب، متخذًا الوجه مأوى له عن جدارة، فكل من يتعامل معهما يدرك أن في ماضي كل واحدةٍ منهما أكثر من خذلان أو مأساة، ألفت بها صريعة هنا بين أسلاك الهواتف، وذبذبات الهواتف النقالة وأوراق المواعيد واستقبال أكثر مخلوقات الله ترنحًا، يخاطبونهما دون أن يشعروا أنهم يتحدثون، يتكلمون أحيانًا ولا يتذكرون ما يقولون، ومنهم من لا يستطيع النطق، وكأن هناك ما شق ألسنتهم، التيه سمة العصر، الجالس هنا والمستقبل تائبان، كنت طوال الوقت أتساءل، كل هؤلاء يتناولون يوميًا المهدئات؟ ومضادات الاكتئاب وعقاقير التوازن؟! وكبسولات الللمة من التشتت، وأقراصًا مضادة لبعثرة الروح؟! هذه الصناديق البشرية المعلقة تحمل في جوفها ما لم يستطع عقلها تحمله، فأتوا هنا بحثًا عن عقلٍ بديل، عقل مزود ببعض مُرشحات الألم، أو ربما قلب، هم يتوقعون ذلك وإلا ماجءوا هنا، حاملين معهم سياط جلد الذات أمام القديس القابع داخل تلك الغرفة، يدخلونها

فرادى وما هم بفرادى، طوال الوقت كانوا يتحدثون مع من يحيط بهم ولا أدركه، ومن يخرج من تلك الغرفة يخرج وهو يحمل معه شيئاً مُغلقاً، أترأه يا ترى عقل جديد "بكرتوته" أم قلب "بسولفانته"؟

هذا يغربني بالبقاء قيد الانتظار، أنتظر دوري مثلهم تماماً، ربما من حُسن حظي أني أدرك ما يحدث رغم هلامية الأجواء، الآن الفتاة البيدنة تنطق اسعي، إنه دوري إذًا، حان وقت الدخول والحصول على عقل بدلاً من تلافيف الدماغ التالفة، التي تستغيث كل ليلة، يغتصبها التفكير والخوف كل ثانية، هذا الرجل سيخلصني منها حتمًا وينجديني، قبل أن تؤثر على الباقي من أعضائي، غارغارينا الدماغ الفكرية بكل توابعها إن وصلت للقلب يمكن أن يتوقف تمامًا عن العمل، وأنا لا أحيأ إلا بهذه الدقات، على هذا الرجل أن يستأصل كمًا من الوجد المتسرب من تلافيف الدماغية قبل أن يدخل القلب، إنه الحزن مضروبًا في أنين من الدرجة الثالثة، لم أستطع السيطرة على سيره، فأوقف حركة ذراعي وقدمي وعرقلي عن السير في دروب الراحة، دخلت الغرفة وأنا أترنج، ابتسم لي الرجل، كان بدينًا هو الآخر، بطنه عبارة عن طبقات خرجت من حيز مقعده مرتطمة بأدراج مكتبه، شعرت لوهلة أن بطنه ستستمر في التمدد على المكتب حتى تصل لي، قاطع ذهولي بسؤال:

- خير يا أنسة...

- إنانا. أنا مدام.

- إنانا اسمك؟

- نعم.

- بدأت آخذ عنك انطباعي الأول، فإنانا هي إلهة الخصوبة لدى الفينيقيين.. وكل شخص ينال من اسمه نصيبًا ما. خيرا مدام؟

- دوازلا يتركني يا دكتور.

- الدوار سبب لك فقدًا في الشعور بنصفك الأيسر؟ لا تستطيعين تحريك يدك اليسرى؟

- نعم.

- جئت هنا خشية أن يكون قد تسلل لقلبك؟

- نعم.

- أتيت متأخرة يا مدام، قلبك تأثر فأوقف النصف الأيسر، لا أستطيع إلا أن أخبرك بما ستؤولين إليه بعد هذه المرحلة وبعدها ستقررين إذا كان يمكنك تعطيل قلبك أم لا، فهذا العطب الذي سببته لك الأوجاع الروحية، ولد نتيجة تلك الجرائم التي قمت بارتكابها وأنت منتشية يا ست هانم إنانا، أحيانًا نتأذى لأننا قمنا بإيذاء أكثر الأشخاص حبًا لنا، أو أكثر من نحبهم، كالهرة التي تقتل نفسها بعد أن تأكل صغارها، قتلت نفسها لأنها لم تتحمل ألم الروح، كذلك أنت الآن، تقتلين نفسك.

استطرد بابتسامة باردة قاتلة وكأنه سيطلب منها طلبًا عاديًا:

- قفي بعيدًا عند ذلك الجدار، وتناولي ذلك السكين واقطعي نصفك

الأيسر، وعندما تنتهين سأغلفه لك، وستأخذينه معك وتغادرين لتتخلصي منه بطريقتك، بعدها ستشعرين بتحسن شديد.

- ماذا تقول يا دكتور؟

- هيا بسرعة لا وقت لدي يا مدام.

- يا دكتور لا أستطيع فعل ذلك.

- إذا اخرجني خارجًا فلا وقت لدي لأضيعه معك، وتعايشي مع حزنك، ونهايتك الموت لا محالة.

- يا دكتور حرامٌ عليك.

- سرقتي عمر مين يا مدام؟

- يا دكتور حرام عليك كافي.. انتا هيك عم تمسك السكين.

- قتلتني حد من ولادك بإيه يا مدام؟

- آآآآاه حرام علييك، والله خيال خيال، أقسملك خيال.

- قلبك زنى مع مين يا مدام؟ ومين هتك عذريته؟ ومين خدك في مراهقتك في ركن ضلمة واغتصب البواقي الأخيرة من طفولتك المتأخرة؟ وليه مارستي عادات الروح السرية جهراً وسط ناس فقدوا أرواحهم؟ ما بتبوسيش ولادك وخايفة تعديهم بؤسك؟ خايفة تنقليلهم فيروس فُحشك؟ مع إن كل جرايمك خيالية، الخيال وداكي لحد فين يا مدام؟ طعنني مين في رجولته؟ وديتي أنوثتك لمين؟ وليه قطعتي السنة أبوكي وأمك، خدي امسكي السكينة وكفري عن ذنوبك يا مدام، اتخلصي من نصك الشمال.. يا شمال.



- إنتا ما تعرف الحرام؟ قِلتك حرام.. اسكووت حرام.. اسكوت.. أنا أشرف واحدة، راح إمشي من هون وما راح ارجعلك.. إنتا شخص وقح كثير.

- حرام ازاي وانتي كني بتتبرزي في مساجد قلوب طاهرة، ازاي طاوعك قلبك تلوثها، حد يصلي في الحمام يا مدام؟ بتصلي لمن يا مدام؟ بتعبدني نفسك ولا بتعبدني ربنا؟ وتقوليلي حرام؟! انتي كتلة حرام، هو في حرام يستغرب نفسه، دانتي كلك حرام في حرام، متقوليش تاني كلمة حرام، حرام ازاي وانتي...

- وبعدين يا إنانا كمي... .

لم يكمل كلمته يا سيادة المحقق.. طعنته على غفلة منه في بطنه، فتحتها بالطول وكأني أشق بطيخة، وكنت أضحك وعلى وجهي نشوة الثمالة. لم أشعر إلا بذلك الحشو من الحرامات يخرج من بطنه، كل أسئلته التي كانت تنتهي بكلمة يا مدام رأيتها تقفز أمامي، اكتشفت أن من قامت بطعنه هي يدي اليسرى..

لقد فكربي كعاهرة وأنا لست كذلك.. أنا لست كذلك.

صرخت وهي تستيقظ من نومها: أنا لست كذلك.

- ماذا بك يا أمي؟

- لا شيء يا شمس.. إنه كابوس مريع..

\*\*\*



# أزنا



لم يكن من الممكن تجاهل كل هذا النشاط الحادث في الكون في منطقة درب التبانة، لم يكن من العقل إطلاقاً رقم على مجرتنا فري مجرة عملاقة، المجرات القزمة فقط هي التي تسمى بالأرقام، تماماً كالبشر على كوكب الأرض، المهمشين منهم مجرد رقم، كلما تقزمت أمام العملاقة كلما استهتروا بكونك قزماً ونادوك برقم، لكن إن صنعت ضجيجاً وصفعتهم بفعل قوي يمسههم، احترموك ونادوك باسم له صفتك، ربما كان هذا القانون هو أول قانون أتعلمه في هذا الكون، قانون "القوة" الذي تتعامل به كل المخلوقات على كل الكواكب التي عشنا فيها، وحتى في درب التبانة يحدث أن النجمات التي تنفجرتتحول لغبار كوني وغازات، تتلاشى لتتجمع مرة أخرى وترد الصاع صاعين لمن تسبب في تلاشيها، أعتقد أن الشمس التي ندور حولها هي أقوى النجمات، أتذكر حين جلسنا معاً على قمة نتوء في عطارد نراقب الشمس؟ أذكر جيداً أنك رويت لي قصتها وكم تأثرت بها، أذكر أنك أخبرتني أنها كانت لا شيء، تناثرت أجزاؤها في الكون وتبعثرت حتى أقسمتُ أن تلملم فُتاتها وتكون هي السيدة الأولى للمجرة، كان عليها الحصول على قوة ذاتية لتحصل على ذاتها المتناثرة من جديد، تحسست بيدها أوجاعها وبؤسها وأغمضت عينها وأخرجت قوى الدفاء من داخلها للخارج، لقد كانت قوى الدفاء هذه أكبر بكثير من محيطها، سألتك حينها:

- كيف يمكن لنجمة مظلومة مشتتة متلاشية أن تحصل على كل تلك القوة من الدفء؟ من أين حصلت عليها؟

- التشتت الذاتي والانقسام لأكثر من جزء هو مبعث الأسى والحزن والضعف، إنه بداية التلاشي، لم يكن باستطاعتها الحصول على الدفء من تلقاء ذاتها يا "إنانا"، أنا متأكدٌ أن هناك من بث فيها حرارة ما، حُبًا ما، دفئًا ما، واحتفظت به داخلها وبدأت في نسج الكثير منه واستعادة قوتها به، حتى أصبحت هي بذاتها أيقونة الحرارة الكونية التي نؤمن بها، وأجبرت كل الكواكب والأجرام والنجوم على الدوران حولها، احترامها وتبجيلها، وهنا نحن نتحدث عنها الآن لعظم ما فعلت.

- ومن تعتقد ذا الذي بث فيها من روحه لتشع كل هذا الدفء يا نزار؟

- إنه الإله الذي لا يرضى لأي مخلوق من مخلوقاته أن يُظلم، لقد أنصفها وأنقذ روحها، ويُحسب لها أنها استجمعت شتاتها سريعًا وتعافت بشكل أسرع، فليس لكل كائن هذه القدرة على ملمة البعثات، القوة الداعمة توهب لكل كائن لكن ليست لكل الكائنات ولا لكل الأكوان نفس القدرة على أستغلال هذه القوة بشكل كلي، لذا ترين تلك الفروق بينها، كلٌّ على حسب مقدرته وتكوينه، من يتعافى سريعًا ويتشبع سريعًا بطاقات الإله الأعظم، يُشفى سريعًا ويقوى كلما امتص الطاقة وبثها فيما حوله.

أمسك بيدي على غفلة وقال:

- أنتِ الروح التي أستمد منها دفئي يا إنانا.

تلعثمتُ كثيرًا:

- لا أريد أبدًا أن تبعد يدك.

كان على وجهي تقطية خوف... سألته:

- هل تعتقد أن هناك قوة تستطيع أن تفرقنا أنا وأنت يا نزار؟

رد بعينيه العميقتين. وبأسى:

- لا أريد أن يأتي هذا اليوم، أريد أن نبقى كما نحن، فأنا لست بحاجة إلى أي شيء بعدك يا إنانا، لذا أنا لا أفكر، ولا أريدك أيضًا أن تفكري في هذا الأمر، لأننا بكل بساطة لا نملك شيئًا إلا لحظتنا الآتية.

كان يراقب الثقب الأسود الذي يتوسط درب التبانة، وثبت ناظريه عليه حتى قطعت شعراتها المتطايرة خط الرؤية أمام عينيه.

نظرتُ للجهة الأخرى وهي تعيد شعرها المتطاير بيدها للوراء:

- أنت تعلم أن هذا اليوم سيأتي ولا تريده أن لا يأتي؟! ما أضأل رغباتنا أمام قوى القدر العظيمة.

أذكر أنك بعد هذه الجملة اعتدلت في جلستك وتقابلت عيني بعينك، رأيت في عينيك موضع الثقب الأسود الذي كنت تنظر إليه منذ قليل، رأيتُ في عينيك خوفًا من أن يبتلعنا وننتهي فيه، الخوف يحولنا لضحية أمام أضعف عدوان، وضعتَ يدك على خدي وطبعت على جبيني قُبلةً

تُشبهه في أثرها أثر سقوط المذنبات على صحراء المريخ، ظلت محفورة على جبيني حتى الآن، أهل منها طمأنيني في أوقات الهلع، كنتَ تريد بها أن تطمئنني أنك لن تتغير لكن القدر هو الذي يحدد مصائرنا يفعل بنا ما شاء، يضعنا في أي مكان وأي زمان، المهم أننا الآن نعيش الزمكان معًا، وأنت متأكد أننا سنظل ندور حول بعضها في مداراتنا الخاصة دون انقطاع، تصلي لي وأصلي لك ليجمعنا الإله الأعظم فيما بعد الكون، كان حديثك صادقًا جدًا يا نزار، أو هكذا ظننت.

في بُعد آخر، لم يكن بإمكاننا أن نحيا في مكانٍ آخر غير مجرتنا، رغم أن مجرة المرأة المسلسلة كانت تناديننا، كانت تريد أن تنال شرف احتواء روحين كروحينا، لكنني رفضت الذهاب إليهما لأنها تتحكم بأرواح النساء، وروحي تعشق التحليق، كانت أيضًا ستعزلك عني، كنت سأوضع في قرار أن أعزل عنك وأن أختار أحد الكواكب النسائية وأعيش بها وحدي، لا يمكنني ذلك بالفعل، فعندما كانت تناديك مجرة "سحابة ماجلان" التي يسكنها الرجال، تجاهلت نداءهم، وبقيت معي على عطاردي درب التبانة. عنواننا ليس صعبًا لمن أراد الوصول لنا: "مجرة درب التبانة، المدار الإهليجي العاشر، بزواوية ٤٥ درجة من أعلى نتوء على عطاردي". هذا هو الحل الوسط، أن ننتمي دائمًا لمجرة تجمع بين النساء والرجال، فبينما كان الرجال من الزهرة يرتحلون نحو "سحابة ماجلان" والنساء من المريخ يرتحلن نحو "المرأة المسلسلة" منفصلين في أفواج متضادة، كنت أنا وأنت نراقبهم من خارج المجرة، كنت أنا وأنت دائمًا نحيا خارج المجرة التي تريد عزلنا عن بعضها، نقدفها بلا مبالاة ونرحل عنها، حتى جمعتنا درب التبانة بكواكبها. إنه إيمانك بحريتك التي لا تملك سواها، إنه الحل

الوسط، من العدل أن نختار مكانًا يجعلنا معلقين، حاولنا أن نكون قريبين من العرش والسموات السبع بعشقٍ لا يمكن أن ينتهي لسكان أي مجرة، لكننا كنا دائمًا نراقب كوكبًا مشاغبًا يتحدى الثقب الأسود في ابتلاعاته للنجوم، عليه جاذبية مغناطيسية غريبة ومريبة، يجذب نحوه الكثير من الأرواح والأجرام والمذنبات والأقمار والنجوم، أذكر أنك كنت تدعو دائمًا الإله الأعظم بأن يبعدنا عن ابتلاعات الثقب الأسود ونسيت أن تدعوه أن يبعدنا عن جاذبية هذا الكوكب، كلما نظرت لهذا الكوكب المسى بـ"الأرض" تطراً على ناظري صور وحكايا وكأني سأعيش عليه يوماً ما، وكأن الغيب كله يستعرض نفسه امامي في صور، كنت أهشها بيدي لأنني لا أريدها أن تحدث.. كنت أرى صور دماء تراق، يد تبتعد عن يد، امرأة تلد وأطفال يبكون، كنت أراك مكبلاً، وأراني في سيرر رجل آخر.

رأيت روحك في جسد هرٍ وثير الذيل يتسلل لنافذتي، كنت أرى كوابيسي تتحقق عليه، كان هذا كافياً أن أكره حتى النظر لذلك الكوكب.

إن عشقنا لهو العشق الطفرة الذي لا يجرؤ الكوكب القبيح بكل ما فيه من دموية على احتوائه، عشقٌ نوراني تمامًا، كان ينبغي أن يكون مكانه في الأعلى وليس الأدنى، في العليا وليس الدنيا، بالقرب من الشمس في اشتعالاته وعلى مقربة من القمر في وضوحه وإضاءته، عشق كهذا لا يولد إلا بين نورانيين كنحن، ربما لأننا كائنين لا يمكن مشاهدتهما بالعين المجردة العادية، ربما لأن كل الكواكب اجتمعت فيك، أو ربما كنت أنت وحدك النواة ومركز ثقل روجي الذي يستقطبها دائماً لفضائك الذي لا تكف كل الأشياء الجميلة والتي نتفق عليها.. على الدوران فيه.



ليت الثقب الأسود قد ابتلعنا معًا قبل أن ننجذب في مسارٍ  
مغناطيسي نحو "الأرض"، استسلمت لتلك الرحلة الإجبارية، أمله أن لا  
يحقق لي الإله الأعظم أيًا من تلك التصاوير التي كانت تراودني عن  
أحلامي في المجرة. استسلمت تمامًا تمامًا، كنت أريد أن أتشبث بيدك  
وأنا أجر نحو بؤرة ضوء لا أعلم ما تحمل وراءها، لكن ظل عندي يقينٌ  
بأنني سألتقيك.. حتمًا سألتقيك.

خرجت من مساري المظلم هذا وابتلعتني الضوء، سمعت أصواتًا كثيرة  
حولي..

- سنسميها "إنانا" على اسم آلهة الخصوبة عند الفينيقيين.

صوت آخر:

- هذا اسم غريب جدًا وقديم.

- الأسماء المميزة الغير موجودة تكون جميلة وأنا أعلم أن صغيرتي  
ستكون مميزة.

كل ما أذكره عن هذا اليوم أنني وقفت أراقبني وأنا أصرخ، أصرخ،  
كنت ضعيفة جدًا، يغلفونني بقماش أبيض، وقد التف الجميع حولي،  
ناظرين في وجهي الصغير يحاولون استكشافه، ملامحي كانت غاية في  
الصغر، أكاد لا أشعر أن هذا الكائن الصغير هو أنا، ذلك المسار الذي  
ابتلعتني نحو بؤرة الضوء كان مظلمًا للدرجة التي بقيتُ فيها مغمضة  
العينين من تأثير الضوء حولي فور خروجي. رفعتني امرأة تقاسمت معي  
الملامح على صدرها، وظلت ترضعني من ثدي غض، يشبه تلك الأنداء

التي كانت معلقة كقناديل في مجرة المرأة المسلسلة لنساء تركها وبقين دون أئداء، أذكر أني سألتك مرة عن سبب تعليقها وانفصالها عنهن فأجبتني:

- هناك قانون على مجرتهم يحاول تصنيع الأنوثة والاحتفاظ بها بل واحتكارها، وهناك مشروع يخططون له يهدف لاستزراع أكبر قدر ممكن من الأئداء التي تنبت من حلماتها نباتات بشرية مؤنثة تمامًا، مليئة بالغضاضة والتفتح والبياض، جمع الأئداء لإنتاج الحنان والأنوثة. وتصديرهما لمجرات ينقصها الحنان والأنوثة.

اشتعلتُ غيظًا وقتها معلنة عن كرهى لمجرة المرأة المسلسلة التي تعامل النساء على أنهم أشياء مادية.. تُخلمن من أرواحهن، تحتكر أجسادهن وترسل أرواحهن للثقب الأسود، سألتك:

- مقابل ماذا؟ ماذا ستستفيد مجرة المرأة المسلسلة عندما تحتكر الأنوثة وتصدها؟

- إنها القوة التي حدثتِك عنها يا إنا، كل مجرة تريد أن تتميز بقوة تخلدها، تضمن أن يحتاجها الآخرون يومًا ما، مخزون واحتياطي سلع، القوة المادية دائمًا هي الهدف، إنها مجرة تستضعف الأرواح وتستحقر مشاعر الإناث وتختصر الأنوثة في ثدى..

استطرد مازحًا بملامح يملأها الهيام:

- سأرسلك لمجرة المرأة المسلسلة ليخرجوا منك الأنوثة الخام.. "الأم".

خجلتُ منك كثيرًا وقتها يا نزار، لكن حتى اليوم لم أستوعب فكرة أن تُحتكر الأنوثة، حتى المجرات تريد أن تتدخل في كيانات بعضها البعض وتستعد لحروب؟ أعتقد أننا لن نرى على هذا الكوكب المسعى بالأرض أبشع مما رأيناه في مجرة المرأة المسلسلة، هذه السيدة التي ترضعني والتي سمعتهم يقولون عنها أنها أمي محظوظة كثيرًا لأنها فرّت بئديها من مصيرٍ مأسوفٍ عليه كان سيحدث لو أنها كانت منتمية لمجرة المرأة المسلسلة. لقد بت فعلاً بحاجة إلى حنان بعد أن فقدته بفقدك يا نزار.

صحيح.. أين أنت على هذا الكوكب يا نزار؟ أتراقبني الآن كما أراقب نفسي.. أنا مجرد روح تراقب جسدها.. هل يوجد على هذا الكوكب خاصية المراقبة كأرواح يا ترى؟ أروحك تراقبني الآن أم جسديك؟

أنا مشغولة بمراقبة جسدي وهو ينمو، لكن روحي لم تنم، لم تتغير روحي، فأنا أنا، كل يومٍ أشعر أنني بحاجة لك، ربما لم يقدر لي رؤيتك هنا بشكلك الجديد، هل أنت وسيم كما كنت على المجرة؟ أذكر أنك كنت على عطارد أكثر رجولة من المريخ، كنت على المريخ حنوناً أكثر رغم كونك رجلاً صلب البنية والملامح، وعلى المشتري كنت الرجل الطفل الذي يحب المزاح واللعب، وعندما سافرنا معاً لزحل كنت شديد الغيرة عليّ، تركل صخوره بقدمك غضباً وتسب هالاته التي تحيط بأي جسم، كنت تريد أن يكون ذراعاك فقط هما الهالة الزحلية الوحيدة التي تحيطني..

أتذكّر؟

أنا حقاً أريد أن أطمئن أنك بالجوار دائماً، حولي، تتنفس من ذات الهواء، حتى وإن كنت على هيئة نبات أو نملة أو حتى لو كنت حصاناً أو نمراً أو حتى وحشاً.. أخبرني أين تختبئ روحك.. أين؟ ومتى ألقاها؟ متى؟

أذكر أننا حددنا معًا فصول المجرة، كانت فصولًا مميزة، تخصصنا وحدنا، بأزميتنا الخاصة حددنا فصول السنة الكونية، رغم أننا خارج نطاقاتها، فكلما تعامد شعاع شمس اشتعالنا عموديًا على مسافة التلاشي التي تكون بيننا لحظة عناقنا.. يحدث فصلٌ اللهييب، وعندما يكون ذاك الشعاع مائلًا.. يحدث فصلٌ الحنين، وبين اللهييب والحنين فصولٌ من المعية المعتدلة التي يحضر فيها كلينا لذاكرة الآخر دون انقطاع، يسكن خلفية المشاهد، ويدور شريط الحياة على تلك الخلفية من "أناك" و"أناي" إلى ما لا نهاية.

نحن نحدد الفصول، ونحدد الأزمنة، ونحدد مسارات الضوء وسقوطه على الأشياء أرضًا بفزيائنا الخاصة التي علمتها لي والتي تختلف تمامًا عن فيزياء الأرض وفيزياء البشر.

علمتني أن الكيمياء هي الأساس الذي يضمُّ اثنين في مجرة واحدة، وأن الفيزياء هي فيزياء الأرواح التي تمكننا من التحكم بكل شيء بالخيال، تحريك الأشياء بغمضة عين وانغلاقها، فنشكل كينونتها ونختار لها الألوان، كل ذلك ونحن راقيدين أفقيًا، نشير بأصابعنا للأرض... نحرك النجوم ونرسم بها في الفضاء عبقرية كل شيء. وأهم شيء هو أننا نصنع حبلًا من النجوم يحيط بنا يربطنا بمجرتنا التي لا يملكها أحد سوانا.. أين أنت الآن لتصنع ذلك الحبل معي؟

لم أكن أخطط لأكون دونك، لقد أخذتُ على غفلة منك وأخذتُ على غفلة مني، على أسوأ افتراض كنت أظن أنه عندما تأتينا الإشارة بالهبوط للأرض، سنتذكر ونحن هناك أننا في يوم ما كنا هنا جلسة.. فتخبرني

وأنت تنظر للأرض من فوق أنك ذاك النهر الذي قسّم مصر إلى شرقٍ وغرب أو أنك الفرات، وأخبرك أنني "دلتاك" يا خصب.. انبعثت منك، منك وبك تشكلت وانقسمت على نفسي قسمين يصبّان في نهاية الأمر في بحرك، أتعلم؟! لديّ البحرُ كله وعطشى أنا لقطرة ماءٍ منك.

أتعلم أيضا؟!

أنت ذلك الهربلون المشمش الذي كان يموء لي وأموء له.

روحك تتناسخ في كل ما حولي.. هر.. عنكبوت.. فستان.. روحك متورطة بروحي، موجودة في كل تلك المياه على الأرض وفي دمي.. فشقت في الأرض نهرًا منك، يصب في بحرك الذي لا يخشى العطش، لا يخشى الجفاف العاطفي، لا يخشى أن تسيح به الأسماك وتحيا فيه المرجانيات، وأنا سمكة لا يمكن أن تحيا خارجك، تتشبع بمائك لتحيا..

انظر لهذه الشجرة.. تلك شجرة التفاح لن نتناولها لنخرج من جنة مجرتنا كما فعل أبويننا، لكن انظر إنها تناديننا، أنا لا أكف عن البحث عن روحك يا نزار.. إنها تصاحبني وأنا الأحقها.. كلما تناولت تفاحة لأكلها تذكرتك.. تذكرت شجرة التفاح التي تثمر قلوبًا في مجرتنا.. فعلى شجرة التفاح هذه، جلسنا نسرد الحكايات، ننظر لتلك القلوب المعلقة عليها، لا ندري أين أصحابها؟! هل نزلوا إلى الأرض وظلّت قلوبهم معلقة هنا؟ نحن لا نراهم في هذه القلوب، لكن كنا نستشف من كل قلب وجه صاحبه، ليس بإمكاننا هنا وأنا على الأرض رؤية القلوب من الوجوه، لا أدري لو

كنت معي هل كنا سننجح في اسكتشافها أو أننا قد نصاب بخيباتٍ لا  
تحصى وخذلانات.

كنا نعلم أن شجرة التفاح هذه تثمر كل يوم قلبًا يميل لشكل ثُفاحة،  
يُقتلَع من صاحبه الهابط إلى الأرض وقت أوانه فينبت قلبه أعلى الشجرة  
أو على جانبيها، قلوب مختلفة ألوانها، ربما منها ما عطب، ومنها ما هو  
منزوع من دسم الحياة، اغتاله الزمن ونسي أن ينبض، ومنها ما هو طازج  
ينبض بالأحمر بكل ميتافيزيقياه، فجلسنا نبحت فيها عن قلوبٍ تشبه  
غضاضة قلوبنا، فلم نجد.

وسؤال يتردد عليّ كل يوم، حتى بلغت سن النضج الأثوي الذي تحبه  
وقت كنا معًا..

هل يمكنك أن تغيب عني فعلاً للأبد؟

إن ألهة الغياب بكل مشاكساتها ومشاغباتها لا تقوى عليك، ولا عليّ  
ولا على قوانا الخفيّة التي يطغى فيها الحضور على كلّ مرادفات الغياب؛  
لأننا سنتحول لأحلامٍ شبيهة لبعضنا البعض ونقهر الغياب.

عدني.. . أننا سنقهر الغياب..

عدني..

أيها الغياب.. اسمع..

أعرف جيداً أنك مَنصف وستتفهم أن عشقي له لم يمر عليك من قبل عشقٍ مثله، ربما لأننا نورانيين، لم نتحول لآدميين بعد، بالرغم أننا عندما نتحول لآدميين لن تقدر علينا أيضاً، وأنا أحدثك لأنك مندهش وأحاول توضيح ما نحن عليه لك، رافئةً بحالك جراء حالة الاندهاش التي أصابتك هذه..

أنا لا ذنب لي في كل مخططات القدر، لا ذنب لي فأنا الماء وهو القناة التي حُفرت للأسير فيها، بقيت فيها حتى امتصتني تربته فيماذا أذنبتُ لتعاقبني بك؟! لن تستطيع أن تعاقبني بك لأنك ستري أمامك كائن شفاف، كل ما في الأمر أنني كائن شفاف سقط في حيرة لا يدري أيّ الأضواء يعكس وأيّ العتمات سيخوض، مشتت بين العتمة والضوء، كل من يمر يترك فيه أثراً، حتى فقد هويته، وتلاشى تحت البصمات والانعكسات والعلامات، كان خطأه الوحيد أنه شفاف، ولم يعد هناك هوية واحدة أعرف ذاتي من خلالها إلا انتمائي إليه ووجوده هنا.. في قلب روجي.

أيها الغياب..

إن كُنْتُ قد فعلت جُرماً أستحق عليه العقاب.. عاقبني وأرسل لروحي أعاصير من الترنج في مداراتك، عاقبني وأعطني دائماً علامات تجعلني أتأكد أنه قد نسيني لأشعر أنني نكرة ولا شيء بالنسبة له، عاقبني وحدد لي مسارات تجعلني أصل في نهاياتها إلى ما يصدمني فيه، ولديك أكثر من

أداة تستطيع أن تستخدمها معي يا غياب، لديك أداة.. الإهمال، تستطيع تطويعها من خلال "العزف الشيطاني على وتر أنوثتي المهمة"، ولديك أداة التميرير بإمكانك تفعيلها باستخدام "العمر سيمر وكل شيء سيمر"، ولديك أداة السذاجة وشعارها "كم أنت مغفلة تذكرين من لا يذكرك"، كلها أدوات قاتلة ستستخدمها معي، أعلم ذلك.. وستمارسها معي سواء كنت مذنبه أم لا، بالرغم من أنك منصف سيغيبك تشبثي به، ستظنني أتحداك، ستحمّلي كل ذنوب البشرية وستهمني بأني جرم أجدادي على الأرض، وأني جُرم وسط أجرام الفضاء، أحاول إيجاد مكان لي جوارها، فأدور حول ذاتي دون تصادم مع كويكبات الشيطان التي ستزعجها أمامي وعلى رأسها التجاهل والتميرير والسذاجة. وأخشى ما أخشاه أن تجعلني أعاني جراح أداة "الندم" حتى آخر مرحلة فيه وهي مقت الذات، أنا على علم بكل أدواتك وسأصنع داخلي أدوات تقاومها، ستعجز عني.. صدقني.

أيها الغياب..

تأثيرك على كل من حولي وابتلاعك لهم واستسلامهم لك جعلك تستعرض عضلاتك عليّ، أنت لاتجرؤ على مواجهتي.

ألم يصفعك نزار على وجهك آلاف الكفوف في كل مرة تحاول فيها رشوته ودعوته للخضوع لك؟ ألم يخبرك أنه لا يمكن أن يسكن في تجاويفك ومताهاتك التي لن تمكنه من العودة لي أبدًا؟ ألم يركلك في بطنك بقوة عندما كبّلته بتقاليد ومجتمع ودين وأعراف وأنماط حياة



وروتين على الأرض ليظل بعيداً عني؟ وحتى في المجرة لم تتمكن منه، كان  
أثيره الشفاف غير ظاهر لك لأنك أعى أيها الغياب، لا تستطيع أن ترى  
الصادقين جيداً لتُحکم قفصك عليهم، سأُخرج لك لساني الآن بقوة  
وبعدها أبتسم لإغاظتك..

أيها الغياب..

سأسبِك.. سألعنك.. إنك الحاضر الممقوت.. لا شيء أصعب من أن  
تكره الفترة الآتية التي تحياها لأن هناك من هو غائب، لأن هناك من ترك  
مكانه فارغاً في الحاضر، ولا تدري ماذا سيكون مصيره في المستقبل،  
معلق بين الماضي والمستقبل بحبل منسوج من مقت.





## مغناطيسية الأقدار



روحي خارج منزله تحلق نحو السماء المفتوحة المرصعة بالنجوم،  
الكثيرون على الأرض ينظرون للنجوم من بعيد وتغيرهم أشكالها، وحدي  
فقط أعلم ماهيتها عن قرب، إنها مجرد غازات، أحيانًا علينا الابتعاد عن  
الأشياء لنراها جميلة، لذلك لم يغرني لمعانها البعيد، كل ما أحتاجه حقًا  
هو أن يرى نزار لمعان روجي.

الاستعداد النفسي لألتقي بك يا نزار على كوكبٍ كهذا أمرٌ مخيف،  
كنت دائمًا ألتقيك بمنتهى الطبيعية والتلقائية نركض بعثية خلف  
الأحلام، لكن الآن أنا مترددة، أنا لا أحب حتى فكرة التخطيط للقاءك،  
كنت أتمنى أن تشعر بطيفي وحدك، تناجيني دون أن تراني، أخشى أن لا  
تعرفني، أخشى أن لا تراني جسدًا ولا روحًا، أخشى أن أعبأ أمامك فلا  
تلتفت لي. عندما أشعر بهذا التردد أعلم أنني واقعةٌ تحت تأثير أورانوس  
الشرير، الذي يريد أن يسلمني بيده لزلح ليمارس عليّ قواه الكئيبة التي  
سرعان ما ستجعلني أياس من قبل حتى أن أحاول، أنا أعترف أنني الآن  
فعلًا تحت تأثير أورانوس وزلح، عليّ أن أستحضر تأثير المريخ، عليّ أن  
أناجيه من السماء ليعطيني بعض التحكم والسيطرة لأواجه هذا الموقف  
الصعب.

إنها الثامنة صباحًا، ها هو يتوجه نحو سيارته، ليركبها ويغادر لمقر  
عمله، وقفت له في طريقه إليها علّه يلتفت لي، إنها محاولة لجس نبضه  
ليس إلا، لذا لا داعي للتردد..

كنت أرتدي فستاناً أسود اللون كالمادة المظلمة التي كانت تملأ الفراغ، ربما يلفت نظره سواد فستاني وسط هذا النهار، أحمل حقيبة جلدية بنيّة اللون، بغطاء الرأس الأحمر الذي يكسر سواد فستاني بشيء من الدفء المتوهج واضعة عطراً من أزهار كانت تحت تأثير الزهرة أي أنها تشبعت بروح الحب والشفافية، والمرح.. ربما تذكره رائحة عطري بشيء من أيامنا على الزهرة، ها هو قادم، قلبي يخفق بشدة يكاد يخرج من صدري ليرتطم به، هل سيلاحظني رغم كل هذا الارتباك يا ترى؟

ها هو يمر، إنه ينظر في هاتفه الجوال وهو يسير نحو السيارة، يا نزار أرجوك اترك هذا الهاتف وانظري، أرجوك، أرجوك، أرجوك.

لقد عبر من أمامي ولم يلتفت لي، كان وجهه في وجه هذا الهاتف اللعين، إنه لا يتركه، مهلاً، لماذا توقف قبل أن يصل لسيارته؟

إنه ينظر باتجاهي، لا بد أنه العطر، عيني التقت بعينه، لم أقوَ على متابعة النظر لعينه وهو ينظر لي من بعيد، كان يجب عليّ أن أدير وجهي للجهة الأخرى، إن الإشعاع الصادر من عينيه نحوي يذكرني بتلك الإشعاعات التي كانت تخرج من الشمس حينما قررت السيطرة على المجرة، وهو يسيطر عليّ الآن تماماً، أخشى أن يأتي الآن ويسير نحوي ويسألني:

- هل التقيتك من قبل؟

لماذا أخشى أن يحدث هذا؟ مع أنني أتمنى أن يحدث؟ لماذا؟

اللعنة.. لقد توجه مرة أخرى للسيارة، ركها، وقام بتشغيل أغنية،  
ماذا يسمع يا ترى؟

سرعان ما تحرك بسيارته أمامي تاركًا في أذني أغنية تقول كلماتها..  
”يا أم الفستان الأسود.. شكلك حلو وعاجيني.. شعرك وحزامك  
وقوامك واللون الأحمر في إشارتك..“.. ثم ابتعد بالسيارة وكلمات الأغنية  
تلاشت حتى لم تستطع أذني التقاطها..

أيقذف لي بأغنية ويغادر؟ أهذه الأغنية لي فعلاً أم أنه لا يقصد؟

أعتقد أنه لا يقصد أبدًا، لقد غادر دون أن يعرفني، وتلك الأغنية ما  
هي إلا صدفة، يجب أن أفهم ذلك، إن ما أفعله لهو العبث بعينه، إن  
الإله الأعظم انتزع منه روحه التي تعرفني، وعاقبني بأن تظل روحي على  
كوكب يتفشى به العبث كهذا الكوكب. ما أشعر به الآن هو شعور فراشة  
خرجت من شرنقتها فلم تجد ضوءًا يعكس ألوان جناحها الوليديين، قمر  
بلا شمس تضيئه، إنانا بلا نزار.

كل ما أردته في هذه اللحظة هو أن أسحب عطري من رثتيه وأغادر.

سرت لا أدري أين تأخذني قدمي، لكني أثق بها لأنها حتمًا تحفظ  
الطريق الذي لا أعرفه، سرت وأنا أمسك بحزام حقيبتى الموازي تمامًا  
لقلبي، مظهرًا أنني أمسك به بينما أنا في الحقيقة أمسك بقلبي حتى لا  
يسقط جراء فيضان الخذلان الذي هاجمه منذ قليل..

سرت حتى اصطدم بي أحدهم، سقطت حقيبتى على الأرض، قمت  
فورًا بانتشالها وتعديل هيئتي، قلت: لا بأس.. لا بأس..

قبل أن أسمع من الآخر كلمة اعتذار، حتى التقى وجهه بوجهي، إنه شاب في بداية العقد الثالث، نظرتي وكأنه يعرفني قائلاً:

- لقد تعبت من ملاحقتك، حقاً تعبت، متى تفهمين أن خروجك من المنزل أمرٌ خطر؟

- أنت لماذا تمسك بيدي هكذا؟ اتركني.. دعني.

قال وقد تغيرت ملامحه وهو ينظر حوله:

- اخفضي صوتك كي لا يتجمع الناس حولنا مثل كل مرة.

أخذت تصرخ وتصرخ حتى اجتمع الناس حولها

رجل عجوز:

- هل بلغت بك الوقاحة أن تتحرش بامرأة في الميدان العام؟

امرأة تمسك بيد طفل:

- أمسكوا به واطلبوا له الشرطة لتخلصنا من هؤلاء المتحرشين.

اعتدل الشاب وتركها، مدخلاً يده في جيبه ليخرج محفظته، وأخرج لهم صورة من وثيقة رسمية ووضعها أمام رجل يرتدي نظارة كان وسط الجمع، وهتف الشاب بصوت عالٍ:

- هذه زوجتي.

تقدمت نحو مقعدٍ في زاوية الغرفة، وأغلق هو الباب، جلست على المقعد وأخذت تدور بعينها داخل الغرفة، تحاول استيعاب ما حدث، لقد

صدقت الناس الذين قالوا لها أن تغادر مع هذا الشاب، لأنه زوجها، لم تستوعب الأمر حتى الآن، ولا تريد أن تستوعبه..

جلس أمامها وقد نظر إلى الأرض هاربا من نظراتها التي تفتش في وجهه عن شيء تعرفه:

- ماذا الآن؟ هل سنعيش كل يوم في هذه المتاهة؟ متى تتذكرين أنني زوجك وأن هذا البيت بيتك، إلى متى سأتحمل ذنبًا ليس بذنبي؟ هل ذنبي أنني أحببتك؟ هل قدرتي أن أبقى خارج إطار ذاكرتك للأبد؟ هل سأذكرك كل يوم.. كل أسبوع أنني زوجك؟

قام فجأة وأحضر كوبًا من الماء والتقط من على طاولة بالجوار قرصًا أبيض اللون، أخرجه من علبة دواء عليها كلمة "وقت اللزوم" أعطاها إياه وكوب الماء:

- خذي هذا الدواء.

أخذته وغابت نحو عالمٍ لا تعلم كيف وُجدت فيه.

ولما استيقظت وجدت جوارها طفلًا نائمًا وئديها خارج ملابسها ممتدًا حتى فم هذا الطفل، الطفل يضع يده على صدرها رغبة في الشعور أنها جواره، تذكرت فورًا منظر الأثداء المعلقة في مجرة المرأة المسلسلة، هزت رأسها رافضة الصورة التي تراءت لها في عقلها وعاودت النظر لوجه الصغير، اعتدلت في جلستها لترى رجلًا يخلع ملابسه أمام المرأة، يضعها في خزانته، ثم يجلس جوارها تمامًا يكاد يلتصق بها:

- ها؟ بماذا تشعرين الآن؟



صوّرُ من ذلك الحُلُم مرت أمامها عندما أخبرها أنها أم لطفل.. تذكرت عندما كان الطبيب في الحلم يخبرها أن لها أكثر من طفل فسألت زوجها:

- هل أنا والدةُ هذا الطفل فقط أم أنني أمُّ لأطفال آخرين؟

- هذا الطفل الجميل هو ولدنا، وضعته قبل شهرين، وهناك طفلة أخرى تنام في الغرفة المجاورة، إنها ابنتنا شمس، كنتِ طبيعية جداً قبل شهر، لكن هناك أعراضٌ لاكتئابٍ حاد أصابتك بعد الولادة مباشرة أدت إلى فقدانك الذاكرة، لكن الطبيب طمأنني وأخبرني أنك ستستعيدنها قريباً وها أنا أنتظر.. وها أنا أخبرك بهذا للمرة المئة وثلاث عشرة.

اتسعت عينها عندما سمعت كلمة "طبيب" ونظرت له متسائلة:

- هل هذا الطبيب بدين وله "كرش"؟

- الحمد لله، أنتِ تذكرين الطبيب.. هذه علامة جيدة.. لا بد أنكِ أوشكتِ على التذكر.

- هل أقوم بسؤالك وإلقاء أسئلة عليك كهذه طوال الوقت؟

قال وهو يأخذ الصغير بين يديه ليضعه في سريره الصغير بالجوار:

- لقد اعتدت ذلك.

ثم أعطها ظهره وخذ للنوم في عتمةٍ كان مصدرها الحقيقي روحها وعقلها وقلها، نهضت من سريرها وخرجت من الغرفة تحاول السير في المنزل لتذكر أي شيء، وجدت على المنضدة التي تتوسط غرفة الاستقبال

صورة لها مع زوجها الذي تركته منذ قليل نائمًا في الغرفة، وصورة أخرى مع طفلتها شمس في المنتزه وعلى شاطئ البحر، نظرت لغرفة قريبة على بابها التصقت بعض الرسومات لشخصيات كرتونية، اتجهت نحوها وفتحت الباب فوجدت طفلتها نائمة في سريرها، نظرت لساعة الحائط، إنها الثالثة من بعد منتصف الليل، اقتربت نحو الصغيرة النائمة، مسحت على شعرها، قبلتها.. تحاول تذكر أي شيء.. لكن لا تذكر.



-لا، أنا أحدثك عن شيء حدث لي فعلاً.. لا أستطيع تفسيره.. فمنذ يومين حلمت أنني أجلس على كوكب الزهرة ولا أدري لماذا الزهرة لكنني بحثت على الإنترنت عن تفسير الحلم.. فوجدت أن كوكب الزهرة من الكواكب المبهجة المفرحة التي تؤثر على الإنسان الساكن على الأرض بروح المرح أيضًا، أسكن هذا الكوكب مع فتاة جميلة جدًا، تكاد تكون أجمل فتاة رأيتها في حياتي، أو على الأقل هي كذلك بالنسبة لي، تلك الفتاة كنت أراها كثيرًا عندما كانت نوبات البلوغ والخلم الأولى في مراهقتي، أذكر أيضًا أن وجهها لم يفارقني أبدًا وكأني أعرفها، استيقظت من الحلم ولم أخذه بعين الاعتبار فقد ظننت أن أحلام المراهقة عاودتني وعادت الفتاة التي كانت بطلة أحلام مراهقتي تداعب رجولتي الخاملة من جديد، لكن ما جعلني أتعجب وأخذ الأمر على محمل الجد أنه في صباح اليوم التالي.. مررت بسيارتي من أمام فتاة تشبهها تمامًا، تكاد تكون هي بعينها.. والأغرب

من ذلك.. أنه عندما قمت بتشغيل أسطوانة الأغاني في سيارتي كانت مطبوعة على أغنية "يا أم الفستان الأسود.. أغنية قديمة لحميد الشاعر عمرها ٤٠ سنة" وكانت تصفها تمامًا. فقد كانت الفتاة ترتدي فستانًا أسود.. وشكله حلو وعاجبني فعلاً.. وله حزام ولها أجمل قوام.. وقد تندesh حين أخبرك أن رائحة عطرها التي اخترقت أنفي حين مررت جوارها قبل أن أرى وجهها.. شممتها من قبل.. لكن أين؟ لا أذكر.. هذا العطر لا يوجد عند زوجتي منه.. ولم يكن عند جدتي..

قاطععه صديقه ماجد وهو يخرج دخان سيجارته ويحوم بعينه في المقهى:

- ماذا دهاك يا نزار؟ أراك تعطي الأمر أكبر من حجمه، كم فتاة أمامنا هنا ترتدي فستانًا أسود؟ إنهن كثيرات.. أنت فقط تعاني من...  
قاطععه نزار:

- لا أعاني من شيء.. أنا أتحدث بجديّة معك ولو أعلم أنك ستسفه من الأمر لما أخبرتك به.

- مهلاً يا صديقي ماذا أصابك؟ كل ما في الأمر أنني أردت أن لا تأخذ الموضوع برمته على محمل الجد، الماريجوانا التي أفرطت فيها مؤخراً أثرت عليك وجعلتك تهلوس، لأننا نصاب بهذه النبوة جميعاً، هذا احتمال واحتمال آخر أن ذاكرة الجنين لديك قد نشطت، قرأت عن الجنين في بطن أمه الذي يرى ما يحدث في حياته، وما حدث لك

إنما هو "ذاكرة الجنين" .. طبيعي أن تذكر ما كنت تراه من حياتك وأنت جنين .. وأعتقد أن هذه الحقيقة ليست غائبة عن حضرة الكاتب الكبير ..

- حقيقةً أن هناك ذاكرة للجنين ليست غائبة، لذلك أحاول مناقشة الأمر معك.. لو أني رأيته وأنا جنين.. سمعت صوتها.. شممت رائحة كرائحتها.. ورأيته وأنا مراهق.. تفهمني.. تغريني وتثيرني.. كنت أشرح لها أمورًا لا تفهمها.. لو أن تفسير هذه الظاهرة هو أنها ذاكرة جنين. فعلى حد علمي ليس للجنين ذاكرة، وإن تكرار المشاهد أمامنا ما هو إلا أن العين سبقت في رؤيتها العين الأخرى فخزنت الذاكرة الأمر سريعًا مما يجعلنا نشعر أن الأمر متكرر.. لكن ما أحكيه لك أمر مختلف.. أنا أحاول أن أخبرك بأني أشعر أنها جزء من حياتي القادمة لأن هناك علامات تخبرني أنها كانت جزءًا من حياة قديمة.. هذه الحقيقة أدركتها وأنا أسير بسيارتي مبتعدًا عنها.. ولأنني لا أعرف كيف أعطى عقلي الأمر لمقود السيارة.. قمت بالدوران والعودة للمكان الذي كانت تقف فيه، لأراقبها عن بُعد وأعرف أهي فعلاً تلك التي في عقلي وأحلامي أم لا.. على الأقل لأتأكد.. لكنني لم أجدها.

رد ماجد مازحًا نائراً قشور حبات "اللب" من فمه:

- الحمد لله أنك لم تجدها.. أنت بالفعل مجنون.. تطارد الفتيات في الشارع يا مجنون؟ ألا يكفي أنك زير نساءٍ كبير.. غريزتك مفرطة يا "نز" .. هدي اللعب شوية يا بني.

حاول ماجد ملممة مزاحه بجدّ لأنه استشعر أن نزار يستاء من طريقة تناوله لروايته، فقال:

- إحم.. إحم.. لا عليك يا صديقي، أنت مرهق قليلاً وما يحدث لك من مشاكل في منزلك يجعلك متوترًا وعصبيًا، ما رأيك أن تزور أحد الأخصائيين النفسيين؟ الأمر مريح جدًّا، أنا أزور أحدهم منذ ستة أشهر، جلسة واحدة شهريًا تعطيني القوة في هذه الحياة لأتابعها بشكل أكثر تأقلمًا.. جرّب.. وبالمناسبة إنه أخصائي علاقات زوجية قد يفيدك جدًّا في مشكلة زوجتك.

رد نزار وهو يطفئ سيجارته في المطفأة:

- عرفت الآن لماذا أنت الوحيد الذي لا يشكو لأحد منّا.. حسنًا.. أين هذا الأخصائي؟

- ذكرني أن أعطيك رقمه وعنوانه قبل أن أغادر.

\*\*\*

- ها قد انتهيت من تجهيز الأولاد.

- حسنًا هيا بنا، أنا جاهز أيضًا، سنضعهم عند السيدة مهديّة ثم نتوجه للطبيب.

- من هي السيدة مهديّة؟

- أمك يا إنا.. وأنا أشرف زوجك.

- هل أنت متأكد أن ذلك الطبيب آمن يا أشرف؟

- طبعًا، لطالما شعرتِ نحوه بالطمأنينة، أنسيتِ؟ يبدو أنني أنسى أنك تنسين كل شيء..

توجهنا بالسيارة نحو عيادة الأخصائي النفسي الدكتور "منير"، كانت العيادة مكتظة لكن كان هناك موعد مسبق بحجز، لم تكن إنانا تستغرب المكان كثيرًا فقد رأته قبل ذلك، الفتاتان البديتان جالستان يستقبلان الحالات القادمة، شعرتُ أن المشهد يكرر نفسه، وأن الدكتور منير هو ذاته الطبيب البدين الذي شاهدته في الكابوس، الفتاة البدينة تتقدم نحوها بخطواتٍ متثاقلة، وتعطيها ورقة، يجب أن تكتب على الورقة ما هو سبب الحجز ولماذا تقدمين على زيارة الدكتور منير، وعلمها أن تكتب فيها السبب..

وجدت نفسها تكتب:

"ليست المرة الأولى التي أزوركم فيها، أخبروني أنني زرتكم من قبل، لكن الفرق أنني الآن لا أذكر لماذا زرتكم في المرة الأولى"

أخذت الورقة ووضعتها أمام مكتب الفتاة، وعدت لمقعدي أنتظر دوري، كان زوجي ينتظر معي لكن بمجرد أن نادوا اسمي قال:

- ادخلي أنتِ فهو يريدكٍ وحدك.

تمسكت بيده:

- تعال معي أنا خائفة.

-لا يا عزيزتي هو يريدك وحدك، إن دخلت معك سيطلب مني المغادرة. سأنتظرك في السيارة إن انتهيت هاتفي.

تقدمتُ وفتحت الباب ودخلت:

-تعالى يا إنانا.. "اسمك جميل أنا أذكره وأذكر أنى أخبرك بذلك كل مرة".. إنه ذاته الدكتور الذي طعنته فى الكابوس وخرجتُ من بطنه الحرامات التي تقفز، كنت أود أن أخبره أنه فى خطر الآن، إن مهنته كطبيب نفسى هى أكثر المهن خطورة عندما تمارس بشكل خاطئ، والخطأ الذى ارتكبه فى الكابوس هو أنه كان يريد أن يستأصل الجزء الأيسر منى، الذى أحيا به، هل يا ترى سيتكرر نفس الكابوس الآن؟ أكاد أعلم ما الأسئلة التى سيسألها لى.. وأعلم ردود فعلى عليها.. وأعلم كل شىء..

قاطع تفكيرى ونظراتى المتجهمة له بسؤال جعل كل ملامحى متشنجة،  
سألنى:

-كيف حال نزار؟

بتأناة لم تكن يوماً تلازمى:

-أتعرف نزار؟

كان سيرد علىّ لكن سرعان ما دق جرس يربطه بفتاتى الاستقبال،  
رفع السماعة ليرد:

-ماذا؟ حسناً أدخله الآن.

سمعت نقر الباب، ثلاث نقراتٍ متتابعة..

-تفضل بالدخول..

رفعتُ وجهها أمام الباب لتجد أمامها "نزار"، فركت عينيها بيدٍ من اللامعقول: إنه هو أنا لا أحلم، أنا لا أعلم أهذه الحقيقة وكنت أحلم سابقًا أم أنني كنت في الحقيقة وأن هذا هو الحلم؟! ذلك الذي كنت معه في المجرة، إنه هو نفسه الذي لاحقته حتى منزله ورأيت ما يدور في حياته ودخلت روعي حاسوبه، أنا الآن أمامه وجهًا لوجه، الغريب الآن أنه ينظر لي دون أن يهتز له رمش، إنه يعرفني.. هو يعرفني.. هل أن الأوان لحدوث لحظة اللقاء.. هُنا..؟

اندفعت إنانا كالمجنونة نحو نزار، اندفعت نحوه تتلمس وجهه بيدها، وهو واجمٌ مذهول، الطبيب يراقب ولا يتكلم، ونزار لا يعرف أي ترجمةٍ لما يحدث..

بصوت هامس معلق بين البكاء والابتسام والضحك وعدم القدرة على التحكم بالملامح:

- أنا سعيدة جدًا أنني وجدتك، لماذا غبت عني طوال هذا الوقت؟ لن أحكي لك ماذا حدث لي، سأدعك تعرف بنفسك بمجرد أن تنظر لي كما اعتدنا، بل إنك أيضًا لست بحاجة للنظر لي حتى تعلم ما أصابني في غيابك.. لكن كل ما فات من فقد لا يستطيع أن يفسد عليّ لحظة لقائي هذه بك..

نظر نزار للطبيب بدهشة.. كان سينطق ويقول:



-لوسمحت أريد.. .

قاطعته إنانا:

-دعهم يحضرون له كوب ماء. فأنا أعرف جيدًا مقدار الجفاف الذي كانت عليه حنجرته في غيابي.

تعجب نزار من قدرتها على معرفة طلبه قبل أن ينطق به..

دخلت إحدى الفتاتين البدينتين بكوب الماء.. شربه نزار وهو محقق بها. يكاد يشعر أن هناك أمرًا ما غير منطقي يحدث، لم يكن بوسعه سوى أن يقول:

- حتمًا أنا مذهول، أنا لم أكن أتخيل أن تسير الأمور بهذا الشكل.. أنا لا أعرف ماذا أقو.. .

قاطعته:

-ششش لا تقل شيئًا، أنا أعلم كل شيء.. لكن ما لا أستطيع أن أستوعبه هو أنك استسلمت لنسياني بمنتهى السهولة، واستسلمت لثقبٍ أسود ابتلعك وسرت في دهاليزه حتى تهت مني..

أشار نزار بعينييه للدكتور، كان الدكتور يراقب.. يدون في ورقة شيئًا ما، إنانا شاخصة البصر ولا تتحرك، والجميع ينظرون لبعضهم البعض دون أن ينطقوا، حتى كسرت إنانا هذا الصمت بصرخة قالت فيها:

-لا تتركني مرة أخرى.

تمسكت بيد نزار، أخذت تحتضنه بشغف، تمسح في عنقه خدها،

تسقط دموعها على ملبسه، تعانقه بشدة، تضم رأسه لصدرها، يشم رائحة العطر فيجئن جنونه، عيناه تكاد تفيض من الدمع والذهول، أنه متورطٌ بهذه المجهولة المعروفة، قالت بكلمات تداخلت في بعضها جراء البكاء والنهنية:

- الآن الزهرة وأورانوس يلقيان عليك التحية، إنهما يرسلان إليك موجة ضوء تجعلك أكثر تقبلاً لهذا اللقاء الغير منطقي، أنا يا نزار لم يعد بي ذرة طاقة لتحمل غيابك من جديد، انتهى كل المخزون، وكل ما أريده هو أن أبقى معك. أو أن نعود لديارنا.. المجرة.

طلب الطبيب منها أن تجلس وتهدأ، فرفضت أن تتركه وأحاطت ذراعها بعنقه متشبهة به كطفلة تائهة وجدت أباهما للتو، لكن الدكتور منير أصر أن تتركه فرفضت من جديد؛ فاستدعى الفتاتين البدينيتين ليبعداها عنه.. لكنها قاومتها وصرخت وامتألت العيادة بصراخها، نزار واقفٌ يراقب.. عيناه يملأها الغضب والشجن والبعثرة في ذات الوقت، إنه لا يصدق ما يحدث.

أحد الجالسين المنتظرين في الخارج استدعى زوجها، أخبره أن زوجته تصرخ في الأعلى، صعد وهو يتصبب عرقاً، فتح باب الغرفة فوجد زوجته بين يدي الفتاتين البدينيتين تصرخ باسم "نزار".. لا تتركني يا "نزار"، توجهت إحدى الفتاتين البدينيتين لنزار بقولها "سيد نزار أرجوك ابق في الخارج قليلاً"..

لكن نزار لم يستجب لها.. كان لا يسمعها أصلاً.. كانت هناك موجات  
لا مرئية ما تجذبه نحو إنانا.. تعلق بصره بها ودموعه أيضاً..  
نظر "أشرف" لنزار وهو لا يفهم ما الأمر.. نظر إليه نظرة سرعان ما  
تحولت لجمر.

\*\*\*



روح منسوخة  
(بين العلم والخرافة)



سرعان ما غابت إنانا عن الوعي بعد أن حقنتها إحدى الفتاتين البدينتين بحقنة، ممددة على شيزلونج في زاوية الغرفة. ضرب زوجها مكتب الدكتور منير بيديه مشيرًا بعينه إلى نزار وموجهًا قذيفته للدكتور:

- أيمكنني أن أفهم من هذا الشخص الذي تناديه زوجتي؟

الدكتور منير رجل هادئ جدًا، طلب منهما الجلوس، ثم قال:

- إنه وضع صادم وصعب وخاصة لك يا سيد أشرف.

قاطع نزار قائلاً:

- لو كنت أعلم منذ البداية أن لها زوجًا لما كنت طاواعتك يا دكتور منير وأتيت..

- نحن أمام حالة نادرة جدًا يا نزار والهروب منها.. لن يحل شيئًا.

لم يستطع أشرف السيطرة على أعصابه، صرخ بصوت جهوري:

- يجب أن أفهم ما الذي يحدث؟ ماذا بزوجتي ومن هذا المخلوق الذي أمامي الآن؟

الدكتور منير في غضب:

- أشرف، اهدأ.. الوضع لا يتحمل، زوجتك لا تعاني من فقدان الذاكرة كما أخبرتك في السابق وحسب، إن زوجتك تعاني أيضًا مما هو أعقد من ذلك بكثير، زوجتك روحها منسوخة.

- ماذا تعني بروحها منسوخة؟ أخبرني بربك ماذا تعني هذه التخاريف؟  
- ليست تخاريف للأسف لكن في نفس الوقت العلم عاجز عن تفسير ما حدث، فمن يغيب عقله عن قصد.. يقصد من ذلك استحضار عقل روحه، فكل من يسكرويشرب من نبيذ التحليق يُحلق وترتفع قدمًا روحه عن أرض العقل والتفكير والحسابات العينية والمادية، يستطيع الإبحار في اللابحر، المشي في اللاأرض، الطيران في اللاسماء، والامتثال لقوى القفز ضد الجاذبية أيضًا، عقل الروح إن حضر، حضرت كل الأشياء بين يديك، تلمسها دون أن تكون ملموسة، تشعرها دون أن تكون محسوسة، لكنك حتمًا ستكون متشبعًا بها، لأن أثيرها معك، غير أنه بحضورها الفيزيائي، لذلك إن زوجتك الآن.. لا عقل لها سوى عقل الروح الذي استيقظ فجأة وقام بإلغاء عقل الجسد الذي كانت تعيش معك به. والذي تتذكر به صغارها وبيتها وحياتها معك، إنها الآن لا تشعر إلا بما يحتويه عقل روحها، وهذا الرجل الذي أمامك هو الوحيد الذي يوجد في عقل روحها لأن روحها مستنسخة.. ونسختها داخل هذا الرجل..  
والعكس صحيح.

- هذا هراء.. أنت طبيب مجنون وأنا أريد أن أتأكد من كل شهادتك..  
سأغلق لك هذه المصححة.

نهض نزار من مقعده قائلاً:

- دكتور منير، سأضطر للمغادرة الآن فأنا أعاني توترًا حادًا جراء ما حدث ولا طاقة لي بتحمل المزيد، سأحضر في موعد آخر لمتابعة الأمر معك.

رد الدكتور منير بعد تنهيدة:

- حسناً ستفعل يا سيد نزار، المعذرة لما حدث لكن لا بد أن نصل لحل.

أشرف في انفعال حاد:

- أي حل؟ أنتم مجانيين.. الطبيب الذي يعالج المجانين سيُجن علينا..؟!  
غادر نزار في هدوء.. مغلقًا الباب خلفه.

نظر الدكتور منير لأشرف وقال:

- اهدأ يا أشرف أعلم أنها حقيقة غريبة وجديدة ويصعب عليك تقبلها كزوج، أقدر موقفك تمامًا تمامًا، لكن إن كنت تريد زوجتك حقًا وتريد لها حياة أكثر بهجة فأطلق سراحها، حرر روحها.  
- أنا أشعر بالدوار.

- لا أخفي عليك لقد احترت في أمر تحليل حالتها، شخصيتها أنها اكتئاب حاد وشديد يصيب النساء بعد الولادة وهو من النوع المتطور الذي أفقدها ذاكرتها، لكن سرعان ما استرجعت حالتها وحكاياتها من ملفاتها عندما زارني السيد نزار وروى لي حلمًا راوده كان هو بكل تفاصيله نفس الحلم الذي سجلته لزوجتك هنا،



الأوراق التي تثبت ذلك موجودة إذا رغبت في الاطلاع عليها. زوجتك لا تعرف هذا الرجل، لم تره من قبل، لم تشاهده إلا في عالم آخر لا نعلم نحن عنه شيئاً، زوجتك لم تخنك لأنني أرى الآن أفكارك الشرقية السوداء تقفز من عينيك.

- لا أصدقك.. لا أتخيل أن تهدم حياتي وبيتي ومستقبل صغاري لأجل هذه الخزعبلات.. هذه منتهى الفوضى.

- بمناسبة الفوضى.. لقد روت لي زوجتك بمحض صدفة أن بعد عودتها من المستشفى وإنجابها الصغير، عادت للمنزل فوجدته فارغاً من كل الأشياء التي ترتبط بها، فارغاً من كل الأشياء التي تحب أن تكون على مقربة منها، وأنت أخبرتها بأن هذا أفضل ليبقى البيت منظمًا..

- أردت أن أجعل أعصابها تهدأ بعد وضعها الصغير، فنظمت لها المنزل، بماذا أخطأت أنا؟

- أنت لا تعرف أن تلك الفوضى التي قمت بإزالتها تشعر زوجتك بالبهجة، لقد قمت بتنظيم المنزل كما تهوى أنت وليس كما تريد هي.. الفوضى التي تتحدث عنها تعيش بها زوجتك، زوجتك تعيش أكثر من فزع.. مثلاً كفزع الماء، وفزع الفراغ، فما يجعل الفوضويين كذلك هو فزعهم من الفضاء البارد الباهت المحيط بهم، الفراغ وحش كبير يبتلع الدفء الذي يشكل نصف وقود الروح داخلنا، الفوضى تغذي الروح بالدفء، تملأ الروح بزوائد حسية، تستشعر أن هناك فوضى في المكان وبعثرة لا فراغ فيها فتشعر بالامتلاء، كما

تنثر الكواكب والنجوم الفضاء فيظهر لنا ثراؤه وأنسه من على بُعد،  
وحب وجود كل الأشياء بالجوار القريب، تحت اليد، زجاجة المياه  
وعلبة المكياج وقوارير العطر الفارغة التي تخزن كل فترات الماضي،  
والدفاتر والكتب والوسائد القطنية وأقلام التلوين والكتب، كلها  
تحبها تحت يدها وحولها، جاهزة لتشعر صاحبها بالدفء في أي  
وقت، إلا أن يأتي أحدهم باسم النظام ويجمعها كلها ويضعها في  
الخزائن المغلقة، ليحدث حينها الفراغ، ويخرج لك وحش الفراغ  
مبرزًا أنيابه لك قائلاً: لقد قتلت فوضاك الدافئة، الآن فقط جاء  
وقت اللاشيء..

زوجتك تعاني من الفراغ حولها.. كانت تتمنى لو أنها تجد من يُعاملها  
معاملة هرة، الأمور كانت دائمًا معقدة ككرة الصوف، كل ما أقوله  
لك الآن درسته جيدًا من تفاصيل عدة جلساتٍ معها.. ألم تسأل  
نفسك مرة بشأن ذلك؟

- أتهمي بشيء؟ أم تحاول استفزازي؟

- لا أتهمك بشيء، أنا فقط أشرح لك أن هناك أكثر من عامل أدى إلى  
تدهور حالتها وتقلص وضمور عقل جسدها مما أدى إلى عودة عقل  
روحها إليها، عقل روحها كان خاملاً ولا ينشط إلا في ساعات النوم  
حين تنفصل روحها عن جسدها مؤقتًا لتلتقي بعواملها التي طالما  
عاشتها في حياة سابقة، إن هذه الأسطورة كانت تؤمن بها الكثير من  
الحضارات القديمة والمعتقدات والديانات لكن العلم عجز عن  
إثباتها..

ورغم أنني أتحدث دائمًا بالعلم وبالمنطق فإن علي الاعتراف أمامك أنني عاجز عن تفسير ما حدث ولا تفسير له لدي إلا "تناسخ الأرواح"، فطوال السنوات الماضية زوجتك كانت تعيش الحقيقة متجاهلة الأحلام، اليوم هي تعيش الأحلام على أنها حقيقة وعليك تفهم ذلك. أعلم أنك لا تُترجم الأمور إلا بالمنطق، لذا دعني أخبرك أنه أجريت بحوث في جميع أنحاء العالم على يد أستاذ الطب النفسي في الجامعة الاميركية في ولاية فرجينيا إيان ستيفنسون منذ ١٩٦٠، ضمت أكثر من ٢٥٠٠ تقرير يدعم نظرية رجوع الروح إلى الأرض بجسد آخر. في تقارير ستيفنسون هناك بعض الناس يتذكرون أماكن عاشوا فيها أو أشياء كانوا يحتفظون بها وبعض الحالات لديهم القدرة على تذكر كيف وأين ماتوا وجميع الحالات أخذت من أناس عاديين وعاقلين ومن عدة مذاهب وديانات حتى إن بعض الأشخاص ينتمون إلى ديانات لا تؤمن بهذه النظرية.. ما يؤكد العلماء في قضية رجوع الروح هو أنه توجد بعض العمليات المادية التي تثبت أن الشخص الميت ينتقل إلى جسد آخر بعد موته وخصوصًا في المواد العلمية المتعلقة بعلم الجينات والجينات الوراثية التي تنتقل ماديًا لأجيال لا محدودة، وكذلك الاختبارات العلمية التي أجريت على عقول وأدمغة وتخيلات المواليد الجدد وردود أفعالهم التي لا زالت تحير العلماء ولم يجدوا لها تفسيرًا

علميًا سوى الصور المنتقلة عبر الروح والعقل الباطني إلى هذا  
الجسد الجديد<sup>١</sup>.

شعر أشرف بأن الرجل الذي بداخله يهتز، يعتصر ألمًا.. لا يتحمل كل  
هذا الضجيج وكل هذه العُقد، إنه يشعر بانهييار رجولته أمام حقيقة ما  
يحدث لزوجته، لا يستطيع أبدًا رؤية ما يحدث لها من منظور علمي أو  
روحاني أو فلسفي أو أي بُعد آخر سوى البعد المنطقي الذي لا يترجم  
عقله سواه، لا يستطيع تحمل ذلك حقًا.

تابع الدكتور حديثه قائلاً:

- أشرف، لا نستطيع أن نعيد "إنانا" للبيت الآن، سأحتفظ بها في  
مصحتي، وكن مطمئنًا أنني سأهتم بها. صدقتي.

- يبدو أنك جنت، لن أتركها لك أصلًا. سأخذها معي، وسنعيش  
حياتنا كما كنا، وسأعيدها لصوابها.

- عليك أن تتفهم الأمر وتعلم أن العناد وهذه الطريقة ستزيد الأمر

...

---

<sup>١</sup> - إيان ستيفسون، التناسخ وعلم الأحياء: والمساهمة في مسببات الوحامات والعيوب الخلقية (في ٢ مجلدات)  
ردمك ٠-٢٧٥-٩٥٢٨٣-٥

• ستيفسون، الأطفال الذين يتذكرون حياتهم السابقة: مسألة التناسخ، طبعة منقحة ردمك ٠-٧٨٦٤-  
٤-٠٩١٣

• ألدرو-شيين، في ضوء الحقيقة—ورسالة الكأس. ردمك ١-٦١٤٦١-٥٧٤٦١-٠٠٦-٦.

قاطعه:

- أنا أريد زوجتي، لم يعد لدي ثقة بك..

- أشرف، أنت لم يعد لديك ثقة بي ولا بها ولا بنفسك. أنا آسف جداً

لدي رخصة لحجز أي مريض حرصاً على سلامته.

\*\*\*



# أريدك



استيقظت على صوت مواء هر.. وعلى همس إحداهن وهي تقول:

ها هي تفيق الآن.

- الدكتور منير أخبرنا أن نُدخل السيد نزار غرفهما عندما تفيق على أن تكون تحت المراقبة عن بُعد.

اتجهت إنانا بعينيهما نحو النافذة التي تجاور سريرها، فوجدت هراً مشمشي اللون يموء مواء حنين، ذيله وثير كحضوره الطاغى على الأجواء، في حين أن لا شيء قطع نظرها إليه سوى دخول "نزار" عليها الغرفة، جلس على مقعدٍ جوار السرير ونظر إليها في حزن:

- أنتِ بخير الآن؟

إنانا بعد نظرة صامتة دامت ثانيتين نحو عينيه:

- هيا بنا للمجرة يا نزار.. لست بخير هنا، وحمدًا لله على سلامة عودتك لي.

نزار يخرج من جيبه ورقة مطوية ويفتحها:

- أحضرتُ لكِ هذه الورقة.. كدليل أن ذاكرتي موجودة لكنني لم أعد بعد.

تأخذها إنانا بهدوء.. تنظر إليها:



- جميلة هذه الفتاة.. أهذه أنا؟

نزار بهدوء:

- نعم رسمتها وأنا طفل.. وجدتها البارحة بين يدي صغييري الذي كان  
ينبش في خزائن الماضي القديمة، أحضرها لي ليخبرني أن أعلمه أن  
يرسم مثلها.. أنا متأكد أنك كنت في حياتي لكن متى لا أعرف.. ليس  
لدي هذا اليقين التام الذي تملكين.. لا أدري كيف يمكنني أن  
أتذكر.. وأن أملك يقينًا كيقينك هذا..

تنظر إليه وتقول:

- أخبرني عن شيء ترغب أن نفعله معًا.

يتطلع في الأفق القريب من النافذة:

- أن نحلم معًا.

- ولماذا جمّدت الحلم في جيبك؟ أخرجته لتشاركه.

- كيف وهناك من ينتظر أن أخرج له ليسرقه؟

- العُمر أم الشمس؟ أيهما يتريص بالحلم؟

- القمر.

- دعنا نخرج ألسنتنا له ونغيظه كما كنا نغيظ الثقب الأسود بلا  
مبالاة.

- الثقب الأسود؟ كيف تعلمين عني كل تلك الأشياء؟

- أنت أنا لو أن ذاك الغياب العاهر لم يفعل فعلته مع أرواحنا والتقيتِكَ، ما كنتُ تزوجتك.. لنظل ننبض بالحب لبعضنا بعضًا للأبد، نحن استثناء، ما كنا لنتحوّل أبدًا إلى زوجين ينامان وقد أعطى كل واحد ظهره للآخر، ما كنت سأقلي لك البيض يوميًا على العشاء متجاهلة ما تحب أن يكون موجودًا على طاولة عشاءنا، كنا سنكسر معًا كل شيء معَلَب، وكل فعل نمطي، أنا أتكلم بهذه الطريقة لأنني حقيرة، أنا حقًا حقيرة للغاية، أحاول تجميل الزواج الذي كنت أنهاك عنه وأنا روح، أجمله عندما نكون في حيزه، لست أنانية لكنني حقًا.. أحبك حد كراهية كل الأشياء التي تتعلق بك دوني.

- إنا، أنا متزوج أتعلمين ذلك؟

- بالنسبة لزوجتك.. أريد تخليصك منها تمامًا، أعني.. أحمًا أخبرتها من قبل أنك تحبها؟

- اكتشفت قريبًا أنها جارتكم.. حفيدة العجوز حمدي رحمه الله الذي كان يسكن في الدور السابع، لا أدري كيف كنت أتردد عليه كل هذه الوقت دون أن ألتقيك.

- لا أذكر أين كنت أسكن.. لكن كان يجب عليك أن تعلم قبل أن تقول لها "أنا أحبك"، أن تعلم أولًا معنى كلمة "أنا"، التي تعلم معنى كلمة "أنا" هي "أناي" المتشعبة بأنك. أرايت كيف أن حرفين بسيطين قد يختصران عمرًا بأكمله؟

- يااااه..

- لقد كنت على حق عندما كنت خائفة من الهبوط على الأرض، كنت أشعر أن كارثة ستحدث لي، ولا يوجد كارثة أكبر من أن أراك مع أخرى غيري في غرفة واحدة أو حتى في حيّزٍ واحد. إنه أكبر عقاب عاقبني به غيابك، روحك غابت عن التقائها بروحي لأنك اقترنت بامرأة أخرى، كم أنا حزينة.

قال بعينين ذابلتين:

- أنا آسف على عمر مر دون أن أنتبه لوجودك.
- رأيتَ هذا الهر النائم على النافذة؟ إن به روحك أيضًا.. إنه يصاحبني أينما كنت.
- يبدو أن أثقال حزنك ووجعك كلها يحملها هذا الذيل الوثير.
- صوتك مواء يخرج منه لا يسمعه إلاي.. شوفوليك عم بيشمشم عليك.
- لماذا صادركِ العمر مني.. وغبتِ طوال هذا الوقت؟
- الغياب ابتلعك أنت.. أما أنا فكنت أراقبك من هذه الورقة التي في يدك.
- متى تقابلنا؟
- وقت كان العالم يفرق.. ففرقت فيك.
- ما حدث معنا كان عبثًا.
- عبثَ الغياب بنا، والأحلام، والعمر.. نحن الآن في منتصف العمر..

- كيف تبدأ الحياة من منتصف العمر؟

- تبدأ بموت وتنتصف ببقاء

و.. (بنظرة هلع):

- لا تتركني حين تنتهي.

- لن تنتهي.. أعدك.. لكن الكون يضيق بكل من يتشبث بي وبك.

- إنها مجرد نيازك وشهب ونجوم.. ونحن الشموس.

- الشموس تحترق لتكونَ شمسًا.. تحترق لتضيء كل تلك الأجسام  
المعتمة.

- اضحك.

- كيف؟ وأنا أحمل أكثر من ذئب.. ليتني كهذا الهر يحمل ذئبًا واحدًا..  
أنا وغد بأكثر من ذئب رأيتِ القدر؟

ضحك ضحكة كبيرة تجلجل.. سرعان ما خرج منها بابتسامة ثم  
لشجن..

قاطعته:

- لا تدع المريخ سيد التعاسة يؤثر عليك.

- ليس هذا مبررًا مقنعًا للشجن على الأرض.. الأرض وحدها تدفعنا  
للتعاسة دون مريخ.

- دعنا نصعد لمجرتنا الكاملة فعلى هذا الكوكب نقصُ خانق.

- لا صعود إلا بأمر الإله الأعظم..

- أتعرف الإله الأعظم؟

- نعم.. بماذا تريدني أن أخبره؟

- أخبره أن يلغي الموت على هذا الكوكب.

- ليس الأمر بيدنا وعلينا أن نتعامل مع كل ما نحن متورطون فيه.

قالت وهي تتحسس وجهه بيدها:

- أتريد أن لا أراك إلا أثيرًا؟ طيقًا يعبر معي كل الفضاء مهوولًا في ساعات الدوران حول شمس متوهجة من العشق؟ لقد كنت أراقبك من وراء الشجر الذي كنت تجلس تحته، والآن بعد غمضة عين لا أدري كيف مرت.. وجدت أمامي رجلًا هادئ الملامح، عميق النظرة أشتي ان أكون أمامها، عريض الجبين الذي أشتي تقبيله، بذقني مدبب، وأنف مدبب، ورقبة تتوسطها تفاحة "آدم" تلك التي أشتي قضمها والتي تذكرني بشجرة تفاح القلوب في مجرتنا، أتذكر؟ تفاحتك ببروز مغري، تعجيني سلسلتك هذه لماذا لا تجعلها تظهر.. ماذا يتوسطها يا ترى؟

تلعثم وحاول مواراتها أكثر، السلسلة تحمل علامة مجرة المرأة المسلسلة، المجرة التي تُخلي النساء من أنوثتهن وتحتكرها:

- لا عليك من سلسلتي لا تمثل لي شيئًا.

-لكني أعلم جيدًا ماذا يمثل شعرك الأسود الطويل والممتوي حول نفسه، إنه كأنا وأنت عندما ندور وندور ونلتقي في النهاية، ابتسامتك العريضة أنا سرها وأنت لا تعلم معظم أسرارك لكني أعلمها.

-وكأنك كنتِ شاهدة على كل شيء يا إنانا.

-كنت أخفيني خلف حياتك دون أن تعلم، فالأقنعة الباسمة دائمًا وأبدًا هي الوجه الآخر للحب، طوال الوقت أنت مبتسم، طالما أن حبيبتك تقطن في الذاكرة وتسترخي على أريكّةٍ داخلك تشاهد كل ما يحدث في حياتك، تدور مع موسيقى عقلك الخلفية التي تنطلق مع كل حدثٍ يحدث لك، تشاهدك وأنت تعمل فتراها تنظر لك فتبتسم، تراقبك وأنت توشك على النوم فتلاحظ أنت ذلك فتبتسم، وهكذا كلما تذكرت أنها تراك، تبتسم كما أنت مبتسم الآن.. ليتحول وجهك لقناع باسم سرعان ما يتحول لقناع عابس حزين تمامًا بتلاشي وجودها من روحك وعقلك، وزوال تلك الموسيقى الخلفية بزوالها.

-لا أتحمل روعة حديثك عني يا إنانا.. لست جميلًا لهذا الحد وأنا لا أستحق كل هذا الحب.

-لن أرد على هرائك هذا فأنا مسحورة.. ففي نهاية ابتسامتك المعتدلة هذه.. يوجد فراغ شهبي على جانبي فمك يأخذني، وحاجبان على شكل الرقم ثمانية بالعربية ينغلقان على بعضيهما عندما تغضب، لا أصدق أنك أمامي.. وأني أراك جسدًا وروحًا..

(ينظر لها وهو صامت)

تستطرد:

- تتحكمم بحاجبيك بمهارة لجعل نظرتك أكثر تأثيراً، ذكي أنت يا نزار منذ كنت تلعب ألعاب الذكاء وأنت طفل، كنت أحاول مراقبتك والتعلم منك لكنني فشلت.. حالم أنت.. يؤثر عليك القمر.. عندما تكون تحت تأثير الزهرة.. تحب الحياة وتجيد الاستمتاع بكل شيء لاسمًا العمق العميق للأشياء. راصدًا كل صور الحياة بحرف.. هذا الكوكب لا يستحقنا.

- وماذا يمكننا أن نفعل على هذا الكوكب؟

- أن نسكر سويًا لأول مرة.. وليسامحنا الرب.

- سيسامحنا لأننا سكرنا ألف مرّة دون خمر.

اقترب منها:

- بل أريدك والخمر.

اقتربت منه:

- إبدأ تأهب فالعذاب قادم.. قل أحدُ أحد.

قال باشتهاء:

- بل سأقول.. قُبِل.. قُبِل..

هنا دخلت الفتاة البدينة وقاطعت نزار قائلة:

- سيد نزار.. حان الآن موعد مغادرتك لنقوم بإعطائها الدواء اللازم.

نزار في تردد وغضب شديد كان سيفقده السيطرة:

- أنا بحاجة لمقابلة الدكتور منير.. للضرورة.

الفتاة في لا مبالاة:

- حدد موعدًا مسبقًا فهو مشغول جدًا هذه الأيام..

قال لامباليا بها بعنادٍ مفعتل:

- بل سأقابله الآن.. أخبريه وحسب.

كان الدكتور منير يراقب من شاشة أمامه تم توصيلها بكاميرا مراقبة بغرفة إنانا في المصحّة، أغلقها فور سماع الباب يطرق لأنه يعلم أن الطارق هو "نزار".

- أهلا نزار.

- دكتور منير.. الأمر ليس مجرد حلم راودني وراودها في نفس الوقت، الأمر أكبر من ذلك.

قاطعه:

- الأمر أكبر من ذلك لأنه تناسخ أرواح..

- شرحت لي هذا مسبقًا ولم أكن أستوعبه حتى التقيتها وجهًا لوجه وبمفردنا.

- لكنك كنت ستتجاوز حدودك.



- آسف لكن صدقني هناك قوى مغناطيسية غريبة تجذبني نحوها..  
صدقني لم أكن في وعيي أمامها..

- دعنا نبحث في مشكلتك مع زوجتك التي أتيتني في الأصل من اجلها.  
-لا.. لا.. دعك من هذا الأمر..

- ماذا تعني.. ألا تنوي أن تكون حياتك الأسرية مستقرة؟

- الحياة أصبحت مستحيلة بدون إنانا.. كيف يمكن أن يكون هناك  
من يفهمك دون أن تنطق على الأرض وفي نفس الحيز وتركه؟!

- إنانا لها زوج وأسرة وعليك مساعدتها على الإفاقة والعودة لعقل  
جسدها..

-كيف ذلك بعد أن وجدت امرأة بها روجي؟!

- لقد سمعت كل الحوار الذي دار بينكما الآن في الداخل.. اعذرني على  
ذلك، آسف لأنني أريد أن اخبرك بأنها تصف شخصاً آخر تماماً  
غيرك.. لذا علينا أن نجد حلاً.. وفي الحلول تضحيات.. لديها صغار  
بحاجة لها وعلينا مساعدتها.

رد:

- حسناً لكنها لا تذكر ذلك.. لا تعي.. لا تدرك.. لا تشعر بغيري.

- لا تفكر بأنانية في هذا العالم المليء بالأنانيين.

\*\*\*

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا

قَلِيلًا) الإسراء/ ٨٥



جرّ أشرف خطاه متناقلاً نحو ذلك المقهى الذي يسهر فيه أصدقائه، لم يكن ليذهب إلى هناك لولا أنه أراد أن يهرب من كل شيء في المنزل يذكره أنه تزوج امرأة تسكنها روح رجل آخر، جلس على الكرسي، صفق للنادل ليحضر له زجاجة تنسيه ما حدث.. مخرجاً علبة السجائر، ثم بدأت رحلة الإشعال والاشتعال، سرعان ما أحضر له النادل الكأس والزجاجة.. نظر لذلك التحذير على علبة السجائر، تأثير هذا التحذير يجعل المدخن يضحك، سرعان ما أطلق ضحكة سمعها الجميع، متناولاً سيجارةً عندها من بين الجواري الراقصات من السجائر المصطفة في حرمك علبته، منفرداً بها، تدخل أنفاسها رثيته ثم يُخرجها حتى لا يقتله عُهرها.. مع أنه المتسبب فيه، وككل رجال الشرق يقذف بها أسفل قدم الجحود ويدعس تكورها الذي تسبب في إغوائه، ثم يقول بصوت منخفض:

- هي أرادت ذلك.

نافثاً منها النفثة الأخيرة.. لا تدري ما رأى فيها.. لا تدري بماذا تذكره!؟

حذرتة سيجارته تحذيرًا يحوِّله لقديس، يطوف حول ثغرها بعينيه  
كل ليلة ولا ينال منه كلمة.. أكانت تلك سيجارة.. أم "إنانا"؟

أخوه عماد أتى، جلس أمامه واستشعر أنه ليس بخير:

- أشرف ماذا بك؟ هل أنت بخير يا أخي؟

أخذ يهذي مترنحًا أمامه قائلاً:

- نفذت تحذيرها وفرت إلى حيث لا يمكنني العثور عليها، فقد فهمت  
من معاملتي لسيجارتتي كيف سأعاملها، مع أنها عندي أعلى من في  
الوجود، الغيبية إنها لا تعرف كم أحبها، الغيبة طوال الوقت تستنج  
أمورًا غير حقيقية، كانت مؤمنة بصحة نظريتها التي تقول بأن  
"المضمونات" زيادة عن المعتاد هن الأكثر عرضة للخذلانات  
والانكسارات، لذلك كانت تُعرقل السبل، وتُعقد المسارات المؤدية  
إليها، يزداد جنوني بها، فتفر هاربة.. لم تتعرض أبدًا للخذلان.. لم  
أخذلها ولا مرة، أنا من شرب جرعة الخذلانات كاملة، بمرارتها، أنت  
لا تعلم أفاعيل الخذلان يا عماد.. لا تعلمها.

- هون عليك يا أشرف.. لا تعذب نفسك هكذا.

- إنه سيد الصفعات يا عماد، الخذلان قاتل.. فأنت تعطي وجهك لمن  
تثق فيه وتكون على قناعة تامة أنه سيبتسم في وجهك أو أنه  
سيمدك بشيء من الحديث المريح ولا تنال منه شيئًا، كان يمكنني  
مداواة علامات الخذلان على ظهر رجولتي بالقليل من مراهم الوفاء  
في ماضيها الباذخ بالحب والعشق والسلام، لكن قد لا تتذكر هذه

المراهم أبدًا اذا صُفعت من الأمام، لأنها تصاب بالعمى بعدها، فلا تستطيع حتى أن تنظر للماضي وتلتقط منه مشاهد السلام والحب.  
-كنت أظنكما زوجين سعيدين يا أشرف.

-كنت أبتسم في وجهها وأسبب لها البهجة وهي لا ترى، أنهما أني موجود معها في بيت واحد، ولا تدرك.. أضع لك العلامات على وجودي ولا تنتبه، بمجرد أن أدير ظهري، تصيبني الصفعة، ولا يسعني إلا أن أشكر الله كثيرًا أني أدت ظهري حتى لا تقع الصفعة على وجهي، لأنه كان من الممكن جدًّا أن تسقط على وجهي.. هذا منذ سنوات يا عماد.. أما اليوم فقد سقطت الصفعة.. يا عماد.. سقطت الصفعة وانتهى الأمر.

-أشرف أنت ثمل جدًّا.. هيا بنا سأعيدك للمنزل..

-يا عماد.. إنها غبية.. أحيانًا عليك أن تكون شيطانًا أمام امرأتك، كنت أتمنى أن تكون إنانا موجودة الآن وأنا أصفعك هذه الصفعة.. لتعلم أني أجيد الصفع أيضًا.. لتخشاني قليلًا وتعمل لي حساب..

صفعه صفعة في الهواء لأنه لم يكن يرى وجهه بوضوح..

-أيها الرجل الثمل.. أفتق أنا عماد.. أخوك.

رد أشرف مترنحًا:

-أتعلم يا عماد سأعطيك الآن أصدق درس يمكن أن تتعلمه من رجل مجروح، المرأة تحب الشر.. يجب أن تمارس شرك علفًا على الآخرين أمامها بمزاج لا يستطيعون رده، أو مباغتها بقبيل جادة تظهر فيها

أنيايك، تنهال كسياط جلاذ لا هوادة فيها ولا رحمة، أو يجعلها تخرج من ضلوعك في عناقٍ يستهدف كسر فقراتها العُنقية لتظل رأسها دائماً وأبداً موجهة نحو قبلك. هكذا كانت تريد، أفعال الشر الممزوجة بعشق تجذبها لأن انتماءها لفصيلة الهررة الكبيرة تجعلها بحاجة لترويض، هكذا تُروّضُ النساء الشرسات.. إن الرجال المسلمين مخذولين يا أخي.. . مخذولين دائماً.

- عن من تتحدث يا أخي؟ ماذا حدث لك؟

- زوجتي هرة كبيرة يا عماد كان لا بد أن أروّضها.. أشرف يجب أن يكون أشرس.

- زوجتك "إنانا" إنسانة محترمة جداً، لا تتحدث عنها هكذا.. لا بد أن هناك خلافاً ما حدث كعادة البيوت.. وتأكد ستعود المياها لـ..

- كيف تكون محترمة وهي تحمل داخلها روح رجل آخر؟ قلبي يعتصر أماً يا رجل.

- لا عليك، أعلم أنك تهذي وتحت تأثير الكحول.. كل شيء سيكون على ما يرام يا أشرف. سأصحبك للمنزل.

قام عماد بوضع أشرف في فراشه وبقي جواره حتى أفاق وخرج عقله من هالة الكحول التي جعلته يهذي لصديقه بمواجهه، دخل عماد على صديقه وفي يده فنجان قهوة، محاولاً شد أزره ومساعدته على الإفاقة.

- تفضل يا أخي.. فنجان القهوة هذا سيجعلك أفضل.

- شكراً لك.. الله أرسلك لي في الوقت المناسب.

- ماذا بك يا أشرف؟

أمسك هاتفه المحمول ليطمئن على صغيريه اللذين مكثا عند السيدة مهدية لحين تشفى إنانا مما أصابها، أنهى مكالمته ووضع المحمول جانباً. وتبادلاً أطراف الحديث حول ليلة البارحة وما أصاب زوجته حتى فاجأه عماد بقوله:

- عشت مع زوجتي سوسنة أخت إنانا حياة . الحمد لله . سعيدة،  
إنهما من بيت خلوق، ما قلته عن إنانا بالأمس وأنت ثمل مربك جداً  
يا أشرف.. إنها بنت أصول.

- منذ ما حدث البارحة بدأت أشك في أصل كل شيء.. نحن لا نعلم  
شيئاً عن أصول أسرة فرت من الحرب.. لا أعلم بأي نفسية واجهت  
أهوال طفولتها.. لم تكن تحدثني عن أي شيء، كان الصمت ملازمًا  
لها طوال الوقت.. والنتيجة.. الدكتور يقول إنها حالة نادرة من  
حالات تناسخ الأرواح.

- أنا لا أشكك في أصلها أو عقلها لكن.. لماذا لم تتأكد من سلامتها  
العقلية قبل الزواج؟ أعتقد أن رؤية تلك المجازر التي كانت تقام  
في ولايات داعش هينة على طفلة؟ أعتقد أن كل هذه الأمور المهولة  
والدموية والقتل أثرت على ذاكرتها ونفسيها كطفلة..

- لم يخطر ببالي هذا الأمر يا عماد.. ربما يكون معك كل الحق فعلاً..  
كنت مأخوذاً بجمالها وباحتشامها، لم أتصور أن تكون نفسيًا غير  
سوية.. كلام الدكتور منير لم يدخل عقلي يا عماد.

- عليك أن تبحث بنفسك في حالتها، لا تعتمد على حديث الدكتور منير فقط.. ابحث عن حالات تناسخ الأرواح على الشبكة العنكبوتية لتفهم أكثر عن حقيقة هذا الأمر.

- بل أريد أن أتحرى هذا الذي يسمى نزار.. أريد أن أعلم من يكون.

- من نزار هذا؟

- يقول الدكتور منير أن روح إنانا مرتبطة به جداً، وأن روحها منسوخة في روحه، لكن لا أخفي عليك بدأت أشك في سلوكها، قد يكون كل هذا هراء.. فشيطناني بصور لي سيناريوهات أكثر بشاعة.

- أتشك في إنانا أخلاقياً؟ بالرغم أنك تزوجتها لأنها ذات جمال وخلق؟  
أين إنسانيتك؟ إنها مريضة!

- أنا أشك في كل شيء يا عماد.. ما يحدث معي...

قاطعته عماد:

- إياك أن تفكر في أم أولادك بهذه الطريقة، وإلا لن تكون أشرف الذي أعرفه، الموضوع نفسي صدقني وعليك أن تبذل جهداً في استيعاب الأمر وفهمه بدلاً من أن تستسلم لما يحيكه شيطانك.. دعني أتحرى لك عن نزار هذا وسأتيك بكل شيء عنه قريباً، اترك أمره لي.. وابتحث أنت بكل الطرق عن حالة زوجتك.. واسأل أكثر من طبيب نفسي حول الأمر واستفهم منهم عن كل شيء.. لنرى ماذا يمكننا أن نفعل.

- ولمَ نؤجل فعل ذلك؟ دعنا نقوم بذلك البحث الآن..

جلس أشرف على حاسوبه.. يجمع أرقام هواتف أشهر أطباء علم النفس ومعالجي الروح، يترجم المقالات الأجنبية الخاصة بحالات تناسخ الأرواح في العالم..

جمع ملفًا يحوي أكثر من مقال في هذا الأمر وحاول فهمه، تلخيص ما ورد فيه حتى يستطيع استيعابه.

عماد:

- هل وجدت شيئًا؟

- أتعلم؟ أنا مذهول جدًا.. هناك حوادث كثيرة فعلاً تدل على أن هناك ما يسمى بتناسخ الأرواح، أبرزها قصة طفل سوري في الجولان، وصف طريقة موته في حياة سابقة، كان أحدهم قد قتله برصاصة أصابت جبينه، فنسخت روحه في روح طفل ظهرت في جبينه وحمة، الأخير وصف للجميع طريقة موته وأخذهم ودلهم على قاتله الذي اعترف بجريمته كاملة وكان مفزوعًا..

أشعر أنني أشاهد فيلمًا أجنبيًا يا عماد.. أنا لا أستطيع تصديق قصص الإنترنت هذه.. قد تكون من الخيال أصلًا.

- دعك من القصص.. دعنا نبحث عن نظريات وتحقيقات علمية لنستطيع التصديق والاعتراف بما يسمى بتناسخ الأرواح.

- انظر إذًا.. هذا البحث يقول أن هناك أرواحًا مخلّدة.. وأرواحًا لا تعيش في عالمنا وكوكبنا، بل إن مستقرها قد يكون في عوالم أخرى لا نعلم عنها شيئًا، لكن آخر بحث لوكالة ناسا عام ٢٠٣٩ (أي قبل



عام من ظهور حالة زوجتي إنانا).. وبعد اكتشاف الزمكان (المكان الزماني) عام ٢٠١٦، كانت ناسا بصدد نظرية جديدة تحتم عدم الفصل بين الزمان والمكان، وأن البعد الرابع المضاف إلى الإحداثيات المكانية الثلاثة يحوي أحداثاً وتاريخاً وزمناً تعيش فيه أرواح ما، الزمكان الذي طور أبحاث ناسا حول الأشعات المتواجدة فيه والتي تمثل هالات طاقة تشبه تلك التي تصدر عن الإنسان، وعندما أجري البحث على إنسان يحتضر، تحاول روحه الخروج من جسده والانفصال عنه، وجدوا أن نفس تلك الهالات الدالة على خروج الروح، هي ذاتها المتواجدة في الزمكان، ومن هنا تم التسليم بأنه توجد بعض الأرواح التي تسكن وتعيش في الفراغ أو الفضاء المحيط بنا، لكن العلم لا يستطيع إثبات ماديتها، لأنه لا يصدر عنها أي رد فعل أو بصمة مادية تثبت وجودها المادي.

وهذا بحث آخر مأخوذ من عقيدة قديمة يؤكد تناسخ الأرواح يقول: "تعتبر" السامسارا"، وهي عجلة الولادة والموت، من عقائد البوذية والهندوسية؛ يعتبر الموت تبيداً لثوب أحد الأجساد، بثوب جسد آخر. ويعمل إلى جانبه "قانون الحفاظ على طاقة الروح".

- أتعجب من حدوث ذلك دون سبب.. ماذا تعتقد أن يكون سبب هذا التناسخ؟

- إنَّ سبب تناسخ الأرواح وفق المعتقد الهندوسي هو الحاجة إلى العودة وإصلاح أوجه القصور في الحياة السابقة، تعتبر الحياة رحلة روحية طويلة ومستمرّة في العالم، بحيث لا يمكن أن تكتمل في تجسّد واحد.

وفقًا لهذا المعتقد يمكن تفسير اللقاء مع شخص غريب يبدو مألوفًا منذ الأبد، أو الشعور بأننا قد كنا بالفعل في حالة معينة، رغم أننا لم نمزّ بها (حالة ديجافو). وعقب هذا النهج، هناك علاجات تسمى "إعادة التجسّدات"، والتي تحاول العلاج من خلال التطرق إلى الصدمات النفسية القديمة التي "سُجّلت" في روح المريض، في أحد تجسّداته الماضية.

عماد:

- هل يمكن أن تكون إنانا تعرضت لصدمة نفسية جعلتها تستحضر تجسّدات الماضي؟

أشرف:

- وما الذي يؤكد لنا أصلًا أن إنانا منسوخة الروح؟

الكثير من الأسئلة كانت تنبثق من عقل أشرف، وكان عماد يسبقه بطرحها، كلما بحث في أمر ما انبثق له أكثر من إجابة صحتها غير مؤكدة، لكنه قرر أن يتبع حدسه.. طلب منه عماد أن يكتب في البحث الجولي عن الأعراض التي تظهر على الشخص المنسوخة روحه ليرى أستتباب مع إنانا ام لا.. ويجيب هو من واقع مراقبته لتصرفات زوجته إنانا، فكتب في بحثه:

الأعراض الظاهرة على شخص روحه منسوخة.

- انظر يا عماد أول علامة هي عرض الديجافو..

- وما الديجافو؟

- حالة الديجافو أي ذلك الإحساس الذي ينتاب الشخص ويشعر من خلاله أن حادثة ما تحدث أمامه في اللحظة الآتية قد حدثت أمامه أيضًا في وقت سابق..

عماد:

-راجع ذاكرتك يا أشرف.. هل كانت تحدث هذه الحالة مع إنانا؟  
قفزت أمامه تلك الذكريات التي قضى فيها مع إنانا شهر العسل في بدايات الزواج، فقد سافرا معًا عدة أماكن..

-نعم، كل مرة كانت تقول لي: لقد رأيت هذا المكان من قبل لكن أين؟! لا أذكر. كانت تحدث معها تلك الحالة كثيرًا منذ تزوجتها وزادت أكثر قبل ولادتها الأخيرة، كانت تقول دائمًا: "رأيتك تقول هذه الجملة.. لكن أين ومتى رأيتك تقولها؟.. لا أعلم حقًا". وهي الحالة ذاتها التي تحدث عنها الدكتور منير ونفى أن لها علاقة بذاكرة الجنين.

- حسنًا. انظر في البحث.. ما هو العرض الثاني؟

-الذاكرة الوهمية الغريبة..

-أمممم كانت تقص على ابنتنا شمس قصصًا غريبة.. تلك الأحداث التي كانت ترويها لصغيرتها، كانت تسردها لها قبل النوم، وتخبرها أنها حدثت بالفعل.. لا أدري أحدثت معها بالفعل أم أنه خيالها الخصب؟ كنت أتساءل كيف تعيش إنانا كل تلك الحكايا وهي التي كانت تهرب في طفولتها مع عائلتها من الموت المحتم؟ أذكر حكايات

سوسنة أختها عنها قبل أن أخطبها وعن مدى تعلقها بشجرة التفاح التي تروي أنها حديثة عهد بها وأن إنانا قالت لها مرة بأن تلك الشجرة لها قدسية، وأخبرتها ذات مرة أنها لا ترى ثمارها تفتحاً بل تراها في شكل قلوب. من أين أنت بتلك التصاوير؟

هذا بالإضافة إلى كلمة السر التي أخبرتني بها سوسنة لتوافق إنانا على الزواج بي..

- أي كلمة سر؟

- قالت لي سوسنة أن أخبر إنانا أنني حادثتها من قبل وتركت لها رسالة أنني أراقبها بصمت وأني فعلاً كنت أراقبها بصمت وأضع لها العلامات والرسائل القدرية.

- يا الله يا أشرف.. زوجتك حاملة للغاية.. كانت تريد أن تتزوج من شخص يراقبها ويترك لها الرسائل القدرية.. هذا يعني أنها تؤمن من قبل أن تتزوجك بوجود هذا الشخص.. كيف وافقت سوسنة على ذلك.. لماذا انتحلت شخصية شخص غيرك؟

- كنت أحبها يا عماد.. كنت أحبها وسوسنة أخبرتني أنه لا وجود لذلك الشخص..

- أنت أحمق يا أشرف.. كيف تصدق سوسنة.. كان الأولى بك أن لا تخذع إنانا.

- أتريدني أن أصدق وهمها؟ هي تصدق الوهم فلماذا أصدقه أنا؟ هذا ما حدث يا عماد لا داعي لتقليب أمور مضت..

- لكن هذا يؤكد فعلاً أن روحها منسوخة..

- دعنا نتأكد أكثر بقراءة بقية الأعراض.. شيء يلح داخلي أن ما سأقرأه يحدث معها لذا أنا بحاجة لأن أتأكد.

- كوابيسها التي كانت لا تنقطع، صراخها كل مرة فزعاً وضربات قلبها المتزايدة حين تنام فتعرق ثم تصرخ من كابوس وخاصة ذلك الكابوس المتكرر.. الذي حكته لي أكثر من مرة، عن مجرة كبيرة تنفجر، وعن مذابح وغرق.. . اعتياد الكوابيس يجعلها تألفها فلا تفزع، لا أدري حقاً ما الكوابيس الأخرى التي كانت تراها فتفزع كل مرة بها؟

- إلى الآن كل الأعراض تحدث لزوجتك.. تابع القراءة.

- الفوبيا (الخوف من شيء ما)..

- نعم كانت لديها فوبيا الماء والعناكب.. والمرايا.. أذكر أنها رفضت أن نؤجر قارباً في أحد الأعياد وفضلت أن نمضي وقتنا في أحد المقاهي، أذكر يوم صرخت عند امتلاء البانيو بالماء عليها وهي تستحم وطلبت أن نفرغ الحمام من البانيو.. وكانت تشوه سمعة البحر دائماً بحديث كريبه لم أسمعه من أحد قبلها.

- البحر؟

- نعم.. داعبتها في مرة مازحاً.. بسؤال: أتعلمين كم لترًا هذا البحر؟

: أجايتني :

هذا البحر مجرد لتراثٍ من دموع الهارين إليه، ومن دماء الغارقين فيه.

\_هل غرق أحد تعرفينه قبل ذلك؟

\_غرقتُ فيه منذ كنت طفلة ألف مرة.

كانت دائماً تقلب أحاديث المرح عندي لحديث قاتم وكئيب.

أيضاً أذكر أنها كانت تقتل كل العناكب التي تصادفها.. تلك التي تقطن أشجار الحدائق، ولم تكن من النوع الذي يحب النظر في المرأة على غير عادة النساء.. وتغطي مرآة غرفتنا قبل أن ننام.. كنت أتعجب من قدرتها على التزين بدون النظر للمرأة.

- ماذا أيضاً يا أشرف؟

- الوحومات.. أنا الوحيد الذي يعلم أماكن وعدد تلك الوحومات التي في جسد إنانا، كنت أتعجب حقاً، لماذا تحمل كل هذا القدر من الوحومات. لن أخبرك طبعاً بأماكنها لكن..

قاطعته عماد:

- قصة فتى الجولان المقتول التي قرأتها في بداية بحثك.. الوحمة كانت مكان رصاصة قتلته في حياة سابقة يا أشرف..

ناداه:

- أشرف..

أشرف مذهولاً وشارداً في وجه عماد:

- نعم يا عماد.

- هل يمكن أن تكون إنانا مقتولة من قبل؟

- أنت مجنون يا عماد؟

- يا أشرف كل ما قرأناه يدل على ذلك.. هل يمكن أن تكون فعلاً

مقتولة وكانت لها حياة سابقة في مكان آخر.. مع هذا التزار؟

- أعلم.. جسدي يقشعر من أسئلتك هذه الآن.. أهذا طبيعي؟

- كيف يمكننا التأكد من ذلك يا أشرف؟

- لا أدري يا عماد.. لا أدري.. دماغي هتنفجر يا بني والله.

\*\*\*

لماذا يقول المجرمون يوم انكشاف الحقائق ساعة البعث والحساب:

“قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَبْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ  
مِّن سَبِيلٍ”. غافر.

متى كانت هاتان الموتتان ونحن لا نعلم ولا نرى إلا ميتة واحدة؟ إن  
هذا الكلام وثيقة هامة تؤكد وجود حياتين وموتتين.. ومعنى الموت ليس  
الإعدام والملاشاة ولكن النقل من حال إلى حال.

ثم ذلك المشهد الذى استخرج فيه الله ذرية آدم من ظهره قبل  
ميلادها وقبل مجيئها وأشهدها على ربوبيته فاعترفت وشهدت بذلك.. متى  
وأين وكيف كان ذلك؟

”وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِمَّن بَعْدِهِمْ أَفَئَلْئَلْنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ“ . الأعراف .

فذلك كلام وحوار بين الله وبين كل نفس.. منفردة أو الكل مجتمعين.. لا أحد يدري. يقول فيه الله.. ها أنذا قد جئت بالابن قبل أن يولد من أبيه.. حتى لا تقولوا إنما أضلنا الآباء فضلنا من بعدهم.. بل ها أنتم قد أحضرتكم من قبلهم.

ولا ندري أين ومتى وكيف كان هذا الإسهاد؟

وقد أقرت جميع النفوس وقالت.. بلى شهدنا يا رب.. ثم حديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي يقول: ”كنت نبيًا وآدم يجدل في طينته“.. فهذا إدًا وجود سابق وخلق سابق على الميلاد، كلنا كانت لنا سابقة وكنا حقائق قبل أن نصبح أجسادًا، والسؤال الأكبر هو: ماذا قبل وماذا كنا قبل خلقنا في أحسن تقويم؟ إن الله يقول: ”وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئًا“.. فنفى الله عنا الشئئية ولم ينف عنا الهوية بل إنه ليؤكد لنا هذه الهوية قبل الخلق في آية أخرى: ”إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون“..

وفي آية أخرى، يقول فيها عيسى وهو في المهدي ”إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًا. وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة



ما دمت حيا.. والسؤال: متى آتاه الكتاب.. ومتى جعله نبيا ومتى جعله  
مبارغا ومتى أوصاه؟!

هذا كلام صريح ومباشر عن أمر سبق في مستوى من الخلق.. والله  
أعلم ولا أدعي تفسيرًا ولكنها مجرد محاولة للفهم.

مصطفى محمود

الروح والجسد

\*\*\*



## ولادة موت



جلست السيدة مهدية على مقعد أمام حائط زجاجي يفصلها عن غرفة ابنتها إنانا النائمة في سرير أبيض ترقيمها من بعيد، وقد انعقد حاجباها حزناً وأسى عليها، وكأن شريط مغامراتها منذ أن كانت صغيرة يمر أمامها الآن على الجدار الزجاجي، رحلة الهروب من الموت، الطريق الشاق الذي اتخذته للوصول لمصر، ثم للإسكندرية تحديداً، معاناة البحث عن مأوى، الكبد والجلد والكدح الذي مرت به لتؤمن لبناتها حياة كريمة، ذكريات إنانا معها وأحاديثها معاً، ثم في النهاية ترقد ابنتها في مصحة نفسية، تاركة لها صغيرين لا يدركان ما أصاب أمهما، وإلى جوارها أختها سوسنة وريم، سوسنة تحمل الصغيرة شمس، وريم تحمل الرضيع.

الدكتور منير يقترب من الست مهدية ويحاول طمأنتها:

- سيدتي لا تقلقي سيكون كل شيء على ما يرام.

- لم أفقد الأمل يوماً يا دكتور في أحلك المواقف التي مرت بنا.

- كنت أريد أن أعرف الكثير عن طفولة إنانا.. حياتها.. أريدك في مكثي قليلاً..

اتجها معاً نحو المكتب.. جلسا..

الدكتور منير:

- علمت أن والد إنانا قُتل على يد الدواعش.. كيف استقبلت إنانا الخبر؟

- لقد رأيتهم وهم يأخذونه معهم لكنها لم ترهم وهم يعدمون، عندما علمت بمقتله ظلت تبكي.. كانت لا تنام أحيانًا وتظل تنظر للسماء.. ظلت هكذا دائمًا حتى في الليالي التي قضيناها معًا في رحلة الهروب، كلما استيقظتُ من نومي أجدها تنظر إلى السماء.. تنظر ولا ترمش.. وكأنها تعرف كل نجمة فيها.

- كيف غادرتم بلدتكم "الرقّة" رغم تشديد الحصار عليها؟ خاصة على النساء دون الثلاثين في ذلك الوقت؟ كيف استطعتِ الفرار بيناتك الثلاث؟

- دعوت الله كثيرًا أن ينجينا من "الحسبة النسائية" بالأخص التي كانت تتبع النساء، ومنهن من كانت تتسلل لصفوف النساء اللاتي لا ينتمين للتنظيم وتعلن عنهن ويتم إعدامهن، ذات ليل ركبنا على عربة رجل ملثم كان صديقًا للمرحوم زوجي، تحت بقايا زرع كان قد حصده للتو أخضر لونه.. غطانا به، كان متجهًا نحو حمص بعربته، ركبنا معه حتى وصلنا حمص، ثم منها اتجهنا لمخيمات اللاجئين ببيروت، كانت مافيات تهريب البشر تجمع من يرغبون في الهروب لليبيا أو لتركيا أو لمصر.. تحديدًا الإسكندرية، أعطيت أحدهم قرطي وأساورتي وآخر ما تبقى معي من مال ليجعلنا نركب القارب أنا والصغيرات.

- ماذا كان شعور إنانا؟

- كانت متحمسة لركوب القارب، كانت المرة الأولى في حياتها التي ستركب فيها البحر، أتذكر ذلك الصغير الغريق الذي أحدث غرقه ضجة في وسائل الإعلام في ذلك الوقت؟  
- نعم أذكر اسمه جيداً.. اسمه عيلان.

- هذا الصغير كان يلعب مع إنانا على الضفة ونحن ننتظر على السواحل عودة القوارب لتأخذنا، ركب هو وأسرته قارباً متجهاً نحو تركيا.. كنا نسير بمحاذاة قاربهم، لكن سرعان ما انقلبت الأمور على أعقابها، قاربان من القوارب التي كانت تسير معنا ومن ضمنهما قارب عيلان، هاجمتها موجة شديدة وهناك من غرق وهناك من سبح للحاق بقاربنا، فأنقل الحمولة للضعف، مما أدى إلى غرق البعض..  
قاطعها:

- إنانا رأيت حالات الغرق هذه؟

- نعم، رأيت بعينها سيدة جاءها المخاض أثناء الرحلة، الجنين خرج ميتاً من انعدام سبل الرعاية وقذفوا به في البحر.. وبعض الأطفال الرضع أصابهم العطش الشديد بعد نضوب الماء منا.. وماتوا عطشيين.. وألقوا بهم في البـ..

قاطعها:

- كيف لطفلة في هذا العمر أن ترى في بدايات تفتيحها كل هذه الأهوال؟ أنا لا أستطيع مجرد تخيل الأمر.. بالتأكيد عندما مرت الرحلة بسلام وشاهدت صور الصغير الذي كانت تلعب معه على

الساحل أصحابها ذعر.. هل كانت سوسنة وريم على وعي بكل ما كان  
يحدث كإنانا؟

-لا، كانتا صغيرتين جداً.. كانت ذاكرتهما لم تتكون بعد.

-طفولة إنانا غير آدمية بالمرّة.



رسم الطفلة آيتن توني

- كانت تصرخ كثيرًا من نومها.. تنادي "عيلان.. عيلان". تخبرني دائمًا أن مصيرها كان سيكون مثله، الكوايبس لم تتركها من وقتها، حاولت تعويضها عن كل شيء بعد ذلك.. عملت وعملت وعملت.. حتى تكون أفضل.

- لا شيء يعوّض دمار الإنسانية أمام الطفولة.. إنانا قُتلت من قبل يا مهدية.

- ماذا كان عليّ أن أفعل؟ (بكت)

- أنا لا ألومك لكنني أحاول فهم ما يحدث معها من خلال ماضيها.. ماذا عن علاقتكِ بها فيما بعد؟

- كانت تتمرد عليّ طوال الوقت.. منذ أن جاءت في يوم وأخبرتني أن هناك زميلة لها نادتها بـ"بنت بائعة الجلاش" وهي تكره عملي، شعرت أن ما أفعله عبث وأنها خجلة مني وأخذت حديثها في نفسي وأضمرته، حتى وصلت المرحلة الجامعية، بدت أحيانًا ودبعة تريد إصلاح تلك الفجوة التي سببتها لي عندما أشعرتني بأنها لا تفخر بعلمي.. فكانت تقول:

- لماذا حلواكِ شبيهة هكذا؟

- عندما تصنعين الحلوى، حاولي نسيان كل مرارة حدثت لكِ، الحلوى تلتقط رائحة أفكارك المرة وتتأثر بها، فتتي خيوط الكنافة كما فتتنا طرقًا طويلة بأقدامنا ونحن نحاول الوصول لبلد آمن، اعجني



الطحين بحليب الذاكرة الأبيض، استحضري بياض ذاكرة الطفولة  
لأن حليب الكبر عكر..

إنانا بشروء: ماذا لو أن ذاكرة الطفولة عكرة؟

وقتها علمت أنها لن تنسى ما رأيت طوال حياتها وكان ردي:

“علمت الآن لماذا لا تجيدين صناعة الحلوى”.

الدكتور منير:

- مفهوم.. مفهوم.. كانت تريد لنفسها حياة حرة.. تراك متفانية فلا  
تريد أن تفني نفسها مثلك.. وبعد زواجها.. أعتقد أن علاقتها بك  
كانت لومًا.. أليس كذلك؟

- نعم، طوال الوقت كانت تقول.. لماذا تزوجت؟ لست أهلاً للأمومة،  
الأمومة لسعة وجسدي لم يعد به مكان للسعات إضافية.

- الأمومة ليست لسعة وليست أذى يا بنيتي!

أجابت:

- لكل مخلوقٍ على الأرض بصمته الخاصة حتى في الأذى، هذه  
السعات قد تكون مؤذية وقد تكون علاجية، لكنها تظل لسعة. حتى  
ذلك النتوء البارز(وأشارت لبطنها وهي حامل) نتيجة لسعة ذكر  
الإنسان، لسعة عناء منتظر، السهر، التربية، التعب، لكني لا أنكر  
أنه في النهاية علاجٌ لمومتي العطشى. لا تنكري يا أمي أنك حتى الآن  
متأذية من تحملك لعناتنا. لماذا تنكرين أمامي شيئًا أنت مستغرقة

فيه، لماذا عليّ أن أعاني مثلما تعانيين؟ لماذا كنتِ طوال الوقت تسعين لدفعي نحو الزواج والأمومة وإنجاب أطفالٍ في هذا العالم الموغل في الدم والقبح والوضاعة؟ بربك ما سبب إصرارك طول الوقت على ارتداء الأسود؟ أليس لأن الأبيض سيتسخ عندما تسيرين به في أجواء الدخان والرمادية التي سيطرت على هذه المدينة؟ كيف لو أن هذا الأبيض طفلاً؟ ماذا لو حدثت حرب جديدة اضطررنا للسفر بحرًا مجددًا؟ من سيكون وقود البحر وقربان الحرب سوى الرضع والأطفال؟

استطردت مهدية:

- لم أستطع الرد عليها، لأول مرة أتعثري في إيجاد إجابة، كنت طوال الوقت أصمت، أشعر بالذنب، ماذا يمكنني أن أفعل؟ أن أعدّل سنن الكون الإلهية مثلًا؟

كانت وسيلتي الوحيدة للتكفير عن هذا الشعور الطاحن داخلها هو أن أعينها على أمومتها، فبعدها أنجبت "شمس" كانت لا تستطيع العناية بها.. كنت أنا أعتني بها بدلًا منها، حتى استوعبت فكرة أنها أصبحت أمًا وارتبطت بصغيرتها، من بعدها بدأت مشكلاتها مع أشرف تزداد.. ولما اكتشفت أنها حامل للمرة الثانية بكت بشدة، حتى استسلمت للفكرة من جديد.. عندما تعافت من ولادتها الثانية، كانت تخرج من البيت تسير في الشارع دون وعي.. فاقدة للذاكرة.. أنت تعلم الباقي يا دكتور.

- نعم.. أشرف رجل طيب لكنه لا يفهمها..

مهديّة تبكي:

-دعك من أشرف الآن.. ما يهمني هو ابنتي.. أرجوك لا تخفي عليّ  
حقيقة ما أصابها.. أهو جنون؟ أم فقدان ذاكرة أم ماذا؟

-لن تستوعبي ما سأقوله لكِ يا سيدتي.. لكن اطمئني سيكون كل  
شيء على ما يرام بإذن الخالق.

طلب منها المغادرة وأمر بإدخال نزار الذي كان ينتظر في الخارج.

\*\*\*



شيء منه  
(ما بقي من نزار)



إحدى العائلات في المصححة تعطي إنانا بعض الأدوية المهدئة وعلاجات الأرق، فتدخل أخرى ومعها صندوقاً أحمر، أغلب الظن أنه هدية وعليه بطاقة كتب عليها اسم المرسل: نزار. وضعتها أمامها وغادرت.

تبوّلت إنانا اضطراباً دون أن تشعر أن هناك سلساً بولياً مُسبقاً أصاب أوردتها وشرايينها التي كان يسير خلالها دمها وروحه في امتزاج، ذلك السلس الذي تسبب في تدفق حمها خارج كل النطاقات، متجاوزاً كل مضامير العقل والوعي، كان من الغريب أن تفقد قدرتها على التحكم بملامح وجهها بعد أن فتحت هديته، لم تتصور أن تكون الهدية معبرة عن ما طلبته حرفياً لهذا الحد.

حين سألتها لآخر مرة.. ماذا تريدين أن أهديك؟ وبالرغم أن هذا السؤال لا يجب أن يُسأل، أجابته:

- شيءٌ منك.

رد وهو ينظر للأفق:

- سأنتظر منك أولاً أن تهديني شيئاً منك.

وعندما وصلتها هديته.. ساورها الشك حول مقصده من تلك الهدية..

تُرى، أهذه الهدية تعبّر عن حبه وتفانيه في إعطائها شيئًا منه كما طلبت؟!

أم تعني نهاية علاقتكما التي كانت حريصة كل الحرص على ألا تنتهي؟!  
من فرط سذاجتها ظلت في حيرة لأنها اعتمدت منهجية التمير، كيف  
ستبتلع هدية كهديته هذه؟!

أأهداها إياها استهتارًا بها؟

أم ستارًا زائفًا لكل ما صرّح به سابقًا من أحاديث الشهوة والرغبة؟!  
التي كانت تتجاوب معه فيها في آخر لقاء؟

أم أن هذه الهدية تمثل اختبارًا مهمًا لها ليرى كيف ستتصرف؟

لم تكن تعلم كيف تتصرف، كاد قلبها يتوقف.. رغم أن تلك الرائحة  
المنبعثة من هديته كانت تصرخ في أنفها بما يجب عليها فعله.. لكنّها  
تجاهلتها، وبدأت تشمها بقلبها تحاول إقناع حواسها أنها رائحة جميلة.  
ورغم أن هديته كانت صادمة لها، إلا أن فكرة إنهاء علاقتها به كانت  
خارج حيز التفكير، إلى الحد الذي جعلها تراه كائنًا لا يمكن أن يُترك،  
وكيف تتركه وهو الذي علقت عليه كل قناديل المستقبل؟! كيف تتركه  
وهو بطل كل قصصها السابقة، شريك المجرة، وهي الآن تعلق به الماضي  
ليستمر حاضرهما معه، لقد ضمن أنها معه للأبد، وعلى أسوأ افتراض  
يمكن أن يحدث، لا يمكنها أبدًا التخلي عنه، في كل الأحوال ستكون  
راضية به، سعيدة معه تحت أي وضع أو ظرف أو زمان، هكذا

اعتقدت.. وهكذا قررت، ولأنه وصل معها لمرحلة تجميد أي عتاب أو حتى تلميح، وترميمه بل ووأده أحيانًا قبل أن يوجد، يستطيع قراءته داخلها مهما بلغ حجمه، يُدفن في لمح القدر عندما يعطي تلميحًا غير مباشر بأنه قد "يغيب"؛ كانت تخشى فقده بمقدار ما ثبته داخلها من رواسي التملك، التي أثقل بها وضعه عندها، للحد الذي أهداها فيه "غائطه" في علبة مغلفة بلونٍ أحمر، فتقبلها وعلى ثغرها تلك الابتسامة الممزوجة بالخراء.



- دكتور منير.. هل يمكنني البقاء جوار إنانا؟

- أستاذ نزار.. هل يمكنك أن تعتبر إنانا قد توفيت وأنه لم يعد لها

وجود في الحياة؟

نزار مصدومًا:

- لماذا عليّ تخيل ذلك؟

- لأنك يجب أن تخرج من ذاكرتها السابقة.. هل تستطيع الرد عليّ

بعد مشاهدة هذه الصور؟



ألقى أمامه بصورٍ له.. أمسك نزار بها وأخذ يتصفحها وقد بدى على ملامحه الامتعاض.. ثم تحركت تفاحة آدم في رقبته معلنة عن محاولته بلع الفضيحة.. ثم قال:

- إنه طيشٌ قديم.

- الصور حديثة.. بالتزامن مع مشكلة إنانا..

- من سمح لك بالتجسس عليّ؟ وكيف أحضرت هذه الأمور الخاصة؟

- لقد عرفت الآن مع من أتعامل وأول شيء عليك أن تعرفه وتعترف به، أنك مريض جداً يا نزار.

بخبث:

- أهذا تهديد؟! لن تستطيع أن تمس صورتى بسوء ولا أن تهزها أبداً في نظر جماهيري.. أتفهم؟

محاوفا استفزازة:

- أنت شخص سيكوباتي يا نزار بيه.

جز على أسنانه غضباً:

- أنا لا أخضع لتصنيفاتك النفسية.. ولم يعد لي حاجة بالبقاء هنا عندك..

أعرض مغادراً لكن الدكتور منير قال:

- انتظر.. من الأفضل أن تنتظر.. لأنني لا أهددك ولا أريد تلويث سمعتك ولا حتى علاجك.

- لماذا عليّ أن انتظر؟

- لتجيني على سؤال واحد: ما الذي كنت ستستفيد منه من تدمير حياة إنانا؟ وأسرتها؟ لماذا تجاوزت مع امرأة لا تشعر نحوها بشيء إلا بغرائذك؟ ماذا كنت تريد من امرأة متزوجة ولديها طفلين وأنت غارق في العهر مع راقصة إيقاع.. ومذيعه ونساء لا تعلم كل واحدة ممنهن أن هناك غيرها على حجرك؟

- لست مضطراً لأن أجيئك عن خصوصياتي طالما أنني لست مريضك.

- الإجابة هي أنك مريض.. وسايكوباتيتك ستدمرك.. الله يحب إنانا فكشفك.. حتى إن كنت لست بهذا الفجور وحتى إن كنت تحبها صدقاً وهذا محال، ما كنت لأرتضي لها أبداً أن تسقط في حيرة بين هذيانها بك وبأسرتها.

- اذهب أنت وهي وزوجها وجميعكم للجحيم..

قالها نزار بانفعال شديد.. لم يستطع السيطرة على كمية الغيظ التي جعلت وجهه أحمر، اتجه نحو مكتب الدكتور منير.. ثم أمسك برأسه وبدأ في رطمها بمكتبه، كانت الكاميرات المعلقة بزوايا الغرفة تلتقط كل

شيء. الدكتور منير يقاومه.. أمسك يده وكأن كان يتوقع حدوث ذلك..  
نادى طاقم الأمن بجرس إنذار جواره، تدخلوا فأمسكوه..

طلب منهم منير أن يبقوه في حجز المصحة.. أثناء ذلك فكر في إرسال  
هدية لإنانا.. صنعها بنفسه.. وطلب من العاملة أن تعطيها لها.

\*\*\*



# الانفجار العظيم



-راقصة إيقاع، ممثلة مسرح، مديعة سياسية، فنانة تشكيلية، سيدة أعمال، ربة منزل، خبيرة تجميل، مصممة أزياء، أم وأخيراً فيلسوفة، هذه هي صورته معهن، وهذه لقطات مصورة من أحاديث كتابية بينه وبين كل واحدة منهن، وجدنا هذه الصور والتسجيلات الصوتية داخل ملف مغلق بكلمة سر على حاسوبه، يجمعها كأنها طوابع قديمة، استطعنا فتحه بواسطة كلمة خرجت من فم إنانا.. حتى صور الفتيات التي عرفهن في مراهقته يحتفظ بها، إنه ثعلبٌ كبير، بديل لعوب وثير الحيطه، وعين ملؤها حذر حتى لا يكتشفن علاقته بهن في وقت واحد، يقفزُ من واحدةٍ لأخرى أو ربما تحتل كل قدم من أقدامه الأربعة واحدة منهن في كل قفزة، إنه يختبر قدراته على المراوغة والثعبنة علمين.. ابتزاز وعهر ووضاعة.. هذا هو نزار.. سايكوباتي من الطراز الأول.

أشرف:

-الوغد.. عندما رأيته لأول مرة رأيت فيه جبناً وفي عينيه رذيلة.. وكنت أتعصب عندما كنت تخبرني بأن روح زوجتي منسوخة في روحه.. لكن كيف فتحتم حاسوبه.  
-إنانا كانت تقول وهي نائمة.. كلمة السر.. كلمة السر.. الحاسوب ونزار.. كلمة السرهى: المجرة.

زرت نزار في بيته وغافلته.. استطعت الحصول على كل تلك المعلومات بواسطة كلمة السر، فتحت بها ملفًا مغلقًا.. احتفظت بكل تلك المعلومات عنه لفترة وجيزة.. حتى أن وقت مواجهته بها، بالرغم من كل ذلك ما زلت مؤمنًا بأن روحيهما منسوخة.

- هناك حلقة مفقودة.. لا يمكن لإنانا أن تتعلق بهذا الوغد..

الدكتور منير:

- قبل أن يأتي نزار المصححة لأعالج أمور الجفاء بينه وبين زوجته، أتت لي واحدة تروي لي قصتها معه قبل حتى أن أعرفه وبدون أن تذكر اسمه، اكتفت بقول إنه كاتب مشهور، أسعفتها بكفٍّ على وجنة قلبها لتفريق، يزعجني أنهم يحكين عنه حكايا استغراقه في فُحشه بصوتٍ ناعم، بأعينٍ من تبرير. مسكينات بحاجة لمسكنات.. أكثر الحالات التي تضررت منه، هي إنانا.. لأنها منسوخة الروح، روحها القديمة تعرفه.. هل ما زلت لا تؤمن بما أقول يا أشرف؟

- لقد أمنت بما يسمى بتناسخ الأرواح وتأكدت من وجود ذلك وتأكدت أكثر أن روح إنانا منسوخة، وأنها كانت تعيش في مكان آخر، وحياة أخرى قبل هذه الحياة.. تأكدت من أبحاث كثيرة، أمنت بالسر المكنون داخل الجسد.. لكن صدقًا لم أكن أتوقع أن تكون لروح إنانا كل تلك المغامرات.. ولا أدري أين كانت تعيش؟

- في المجرة.. تنتقل بين كواكب المجرة يا أشرف.. أعني مجرة درب التبانة التي نعيش أيضًا على كوكب منها.. تعال لأعطيك تقريرًا كاملًا عن حالة إنانا.. والذي استنتجته منذ بقائها معنا في المصححة،

تسجيل هذيانات نومها، قياس الموجات فوق الصوتية المنبعثة من هالاتها.. كل ذلك أشار إلى أنها كانت تعيش في الزمكان الفضائي مع روح طاهرة جميلة لشخص يدعى نزار، لكن روح نزار الطاهرة البريئة في السماء ليست كالتي على الأرض.. عندما اتصلت روحه بجسد غرائزي على كوكبنا، تلوثت.. تلوثت جدًّا، كانت دائمًا تهذي بالثقب الأسود.. روح نزار الطاهرة ابتلعها الثقب الأسود قبل النزوح للأرض..

- كل هذه التفاصيل استطعت استنتاجها من نوم إنانا وهذياناتها وذاكرتها الدائمة؟

- وأكثر. لقد عانت كثيرًا.. وامتلاً عقلها بعوالم ضخمة فوق طاقة تحملها.. قادتها لانفجار عظيم كالذي يحدث في المجرات قبل أن تتغير.. حتى إنني أخشى من زيادة الموجات فوق الصوتية المنبعثة من هالاتها.. قد تسبب في تعطل الأجهزة هنا.

- هل هناك أمل أن تعود لحياتها معي.. هل هناك ثمة أمل لتحبني.. تتذكرني حتى؟

- يؤسفني جدًّا أن أخبرك بأنه لا أمل في ذلك، أنا أسف لقد تلاشت ذاكرتها المؤقتة، ذاكرة الروح لديها أقوى.. أنا أسف ربما يكون لها علاج في علم الغيب.. لكن حقًّا لا يمكنني الجزم بأنها قد تتذكركم.

- إذًا لماذا احتجزتها هنا؟



-لتكون في مأمن من اعتقاداتك الشرقية وتخميناتك التي كانت تسيطر عليك أنها خائنة وما إلى ذلك، لقد وضعتُ في اعتباري تصرفات رجل شرقي مجروح لا يفهم جيدًا بعض الأمور العلمية أو النفسية لمريضة مسكينة، بالإضافة إلى أنني أردت متابعتها ومراقبة تحركات روحها القديمة والتأكد أكثر من كونها منسوخة لكن في حالة تأكدي كنت لا أضمن أن أجد لها علاجًا يعيدها لك ولصغارها.

غادر أشرف مكتبه وهو مثقلٌ بالخيبة.



سارت في عتمة سادت غرفتها وضوء بسيط يخرج من الممر الذي يؤدي لمكتب الدكتور منير، كانت الساعة الثانية من بعد منتصف الليل، والقمر في ذروة اكتماله، لم يكن مكتب الدكتور منير مفتوحًا لكنها استطاعت أن تغافل العاملة النائمة وتلتقط مفتاحه من على مكتبها، فتحت باب غرفة مكتبه ثم الدرج، لتجد كل الأدلة التي أمسكها الدكتور منير على نزار، شاهدت كل شيء.. كل شيء.

زادت طاقة الهالات حولها إثر غضب اجتاحتها، أثرت على المجال المغناطيسي للكهرباء في المكان، لم تستطع منع تدفق الطاقة، بدأت تأخذ أنفاسًا عميقة عندما انقطعت الكهرباء فجأة، وظل ضوء القمر هو الضوء الوحيد الشاهد على صدمتها.

وضعت الصور والأوراق مكانها، ثم أغلقت الباب بنفس المفاتيح، تحسست الجدران متجهة لغرفة نزار، جربت كل المفاتيح التي معها لتفتح غرفته حتى نجح أحدها في فتح الباب، كان نائمًا ومستغرقًا في النوم، أغلقت باب الغرفة بنفس المفتاح ثم قذفت به من النافذة، قذفته للأعلى نحو القمر، ليسقط بين أقدام نفس الهر المشمشي وثير الذيل الذي اعتاد أن يتجول بين نوافذ المصححة.

اقتربت من وجه نزار.. لمعت في عينها السلسلة التي كان يحاول مواراتها، أمسكت بها فوجدتها علامة مجرة "المرأة المسلسلة"، شعر بحركة ما فاستيقظ مرعوبًا:

- من.. إنانا؟

- لماذا لوثت صورة نزار؟ لماذا ترسل لي غائط جسدك المقزز؟

لاحظ غضبها فرد بتلعثم:

- أنا نزار يا إنانا حبيبي.. ما الأمر؟ أنا فضلت أن أبقي هنا حتى أكون بالجوار، رأيت كيف أني لا أطيق بعدك؟

- كاذب كبير.. كفاك خداعًا.. لم أكن أطلب منك أي شيء.. إلتبس عليّ فقط الأمر فلم أكن أعلم أنك تلوثت.. لوثك الثقب الأسود، منذ متى وأنت تخدع النساء؟ منذ متى جندتك مجرة المرأة المسلسلة؟ ألم تكن تريدني سوى جسدًا؟ تغيرت كثيرًا حتى بات قلبك أسود ونواياك سوداء.

- من أخبرك بكل هذا؟ أنا.. أنا لم أتغير يا جميلتي.. أنسيت الرسمة؟ أنسيت كل العلامات القدرية؟

- يجب أن تتحرر من جسدك يا نزار لتعود لي روحًا طاهرة كما  
الماضي.

بصوتٍ متقطع:

- ك ك ك كيف؟ ماذا تفعلين يا مجد ذنونة؟

لم تدع له فرصة ليكمل جملته، فقد حقنته في رقبتة بحقنة هواء،  
سرعان ما أفقدته القدرة على الاستيعاب والتوازن.. ساقطًا بين يديها نحو  
عالم آخر.



قبلت جبينه وهي تقول:

- خلصتك يا نزار من جسدك الغرائزي.. فلتنطلق روحك نحو الزهرة الآن، أعرف العنوان وسألحق بك.. "مجرة درب التبانة، المدار الإلهي العاشر، بزاوية ٤٥ درجة من أعلى نتوء على الزهرة". سأنتظرك هناك.. روحك تعرف العنوان جيداً ثم غطته بشرشف السرير.. وكأنه ما زال نائماً.

قذفت بالحقنة التي استخدمتها في سلة المهملات.. لأنها تعلم أن العاملة تُخلي السلال في الصباح، ووقدت ورأسها جوار رأسه. عادت أجهزة المصححة للعمل مجدداً بعد انطفاء طاقة الهالات.

دخلت العاملة فوجدتهما راقدين جوار بعضهما البعض، شرعت بمناداة الدكتور منير، جهاز الدكتور منير الذي يترجم الهالات أعطى إنذاراً بصوت شديد، هرع الدكتور نحوهما، وجد نزار قد فارق الحياة، وإنانا تحتضر جواره.. أخذها نحو غرفة الصعق الكهربائي.. كانت إنانا تهذي بكلمة أخطبوط.. عنكبوت.. قبل أن توقظها الممرضة، كانت ذبذبات الحلم تنتقل لمترجم الدكتور منير الإلكتروني..

قرأ أن روحها زادت تشبهاً بهالة الروح المنسوخة (روح نزار الطيبة) التي زادت مؤشرات وجودها وتحليقها حولها، عادت روحه لمستقرها في السماء. تحررت من رغبات النفس البشرية المخادعة، تحررت من غرائز الجسد وشهوة الذكورة، تحررت من الرغبة في تملك كل شيء والاستحواذ على كل شيء، لم يكن من السهل على ذاته المتكبرة أن تضيع

كل مجهوداته في تزيين صورته أمام جماهيره، تحرر من وصوليته، تحرر من نظرة الناس له وأخذها بالاعتبار، تحرر من جسده الذي دنس روحه. قرأ الدكتور ترجمة عقل إنانا الذي دخل في عملية ضمور، بدأ يتلاشى بعد أن سيطرت روحها عليه، أدرك أن روحها تحرضها على إطلاقها لتنفلت سابحة نحو المجرة من جديد، أدرك أن إنانا في مرحلة احتضار، وأنها تحاول الاستسلام لأوامر روحها بانقشاع الجسد، وأن هالات روح نزار ما زالت تريدها.. تغريها بالعودة للوطن.. زادت الهالات.. وزاد اللون الأبيض الذي يمثل موجات تلك الهالات على الجهاز حتى احترق الجهاز تمامًا هذه المرة، هرول الدكتور منير نحو غرفتها محاولاً إنقاذها بأي صدمة كهربائية لقطع المجال المغناطيسي على هذه الهالة التي تزداد دائريتها ومحيطها، لكنه لم ينجح.

\*\*\*



# كلهن إنانا



جمعتهن جميعاً، كل واحدة بزيتها، بعطرها، بجرحها، بحقية ملؤها  
غضب، عشر من الأنسات والسيدات، يحملن الأسواط، يكبتن الأصوات،  
ويتريصن.

الراقصة:

- ها نحن جننا كما طلبتِ بكامل زيتنا، أين مفاجأتك؟

ربة المنزل:

- أتمنى أن تكون مفاجأة مجدية، فيما نسيان لما مرّ من الحكايا.

سيدة الأعمال:

- تمنيت أن أجد بحضوري هذا صفقة عندك، شيء من العوض  
مثلاً.

قاطعتن،

- أنتن جميعاً تعلمن أنكن ضحايا لماكرٍ واحد، وتعلمن أن هناك شيئاً  
بخصوصه، تفضلن، ها هو أمامكن.



كُشف الستار فإذا به مكبلٌ في كرسي خشبي عاري القدمين واليدين،  
عاري الجسد إلا من مناطق السوءة، خافضًا رأسه للأرض، غير آبهٍ  
بالمُحاكمة، لا يود النظر في وجه القاضيات العشر.

اقتربتُ منه، أمسكته بعنف شديد من مقدمة رأسه، ليصبح رأسه  
بمستوى النظر لهن:

- انظر أمها الوغد، ها هن أمامك، وهذه آخر فرصةٍ يمكنك فيها  
الاعتذار أو الدفاع عن نفسك.

رد ببرود:

- لن أعتذر، كلهن ساقطات.

غضبت المرأة الأم وتقدمت بخطوات سريعة نحوه رافعةً يدها لأعلى  
نقطةً يمكن أن يصل إليها غضبها ثم هبطت بكفها على مقربة من خده  
لكنها توقفت قبل سقوط اليد على الخد، تماكنت غضبها ولملمته، ثم  
قالت:

- غضبي من حشرة مثلك كان سيجعلني أفقد قدسية يدي بلمسها  
وجهك الفرزدقي، هذا شرف لن تناله، فاليد التي تحمل رضيعًا  
أبيض، لا يمكن أن تلمس دَنَسُ كَأنت.

سارت بخطوات بطيئة نحو باب الخروج وخرجت.

اقتربت الراقصة تقول:

- ما رأيك بالاستماع لموسيقى كعب حدائي وأنا أرقص أمامك رقصاتي  
المكسيكية الحارقة، أليست هذه نفسها الرقصات التي كانت  
تعجبك؟

ضربت الأرض بكعب حدائها المدبب وهي ترفع ذراعها ووجهها للأعلى  
بثقة، وبدون أن تخفض رأسها خفضت نظرها نحوه، وبكل عزمٍ فيها  
هبطت بكعب حدائها على قدمه فصرخ صرخة مدوية، استدعت صرخته  
ممثلة المسرح فهولت نحوه، ابتسمت وهي تنظر إليه.. سرعان ما قطبت  
كذلك الوجه الحزين السعيد على واجهة المسرح، أمسكت بلسانه وقت  
صراخه، حضرت مصممة الأزياء بمقص من غلٍ كبير وأخذت تقص  
لسانه، انتفض وسال دمه، كانت عيناه تستعطفان حنان ربة المنزل من  
على بُعد كي تأتي وتمسح الدم، لكنها كانت مشغولة بإشعال موقد عليه  
قِدْرٌ يغلي ماؤه، كَقَدْرها معه، قُذِف لها بلسانه، فوضعتة في القدر  
وأحكمت عليه الغطاء.

بينما ظلت خبيرة التجميل تحاول مسح ما بوجهه من أقنعة، ومعها  
إسفنجة مبللة، تحاول بكل الطرق إزالة أقنعتة، قناعًا بعد قناع، ثم  
تمتت في أذنه:

- أعلم ما الذي بلل تلك الإسفنجة؟ إنها دموعي يا حقير، دموعي التي  
أنتجتها أقنعتك هذه، لذا لا بد أن تزول.

استمرت في كحت جلده حتى تمزّق، للممت سيدة الأعمال الجلد المتساقط، وأرسلته لمصانعها تنتج منه حقائب للسيدات، جلست بقدم على قدم وقالت:

- هكذا تعامل جلود الثعابين.

أقبلت الفنانة التشكيلية ومعها بالته من ألوان الوجع، وفُرش من شعرها الذي قصته مؤخرًا معلنة بذلك عن مرحلة جديدة في حياتها، رسمت على صدره شوك صبار، وعلى ذراعيه نتوءات أخطبوط، وتركته تائمًا في حالة هلامية من التفكير الذي لم تتردد الفيلسوفة في ترجمته له قائلة:

- لقد كنت معنا تتحدث بطريقة الإخطبوط، ترمي الكلمات على صفحتك الفيسبوكية باسم واحدة، فنفهمها جميعًا مع اختلاف معطياتنا وكينوناتنا أنها لنا، كل واحدة كانت تعتقد أنها لها، هذا هو قدر الذكر الذي يتحول لكائن برأس ثعلب وأذرع أخطبوط وجسم ثعبان، لقد حررناك من هذا الجسد الذي لا هوية له، خرجت المديعة على التلفاز تعلن تحول أحدهم لكائن غريب أطلق عليه: تتعلّب الأخطبوط الأفعواني.

كان هذا هو عنوان النبأ وإليكم بالتفاصيل مفصلة..

حادثة انتحار الكاتب الشهير نزار عبد المجيد مثيرة للجدل، فلقد كان محتجزًا في مصحة نفسية يمتلكها الدكتور منير السيرجاني، مما يثير شك

الجمهور حول الكاتب الذي أمضى عمراً كبيراً في ضخ أنجح الأعمال الأدبية التي نالت إعجاب جماهيره العريضة، التي يؤسفها أن يموت بهذه الطريقة.

الكاتب الشاب يبلغ السادسة والثلاثين من العمر، معظم كتاباته

وأعماله الأدبية تتناول ما يدور في النفس البشرية، اللوم والندم ورتاء العمر الذي يمضي، ومجموعة أخرى تتناول علاقة علوم الفلك بالنفس البشرية، الكاتب نزار عبد المجيد مشهود له بحسن السمعة والأخلاق العالية، لكن من الواضح أنه كان يخفي عن جمهوره الكثير من الحقائق، فالدكتور منير يؤكد أنه كان يعاني مرضاً نفسياً شديد الخطورة وهذا ما تطلب احتجازه في المصححة، كان الدكتور يتوقع أن يقوم نزار بإيذاء أي شخص يستفزه لذلك احتجزه، لكنه لم يكن يتوقع أن ينتحر، لأن كل تحليلاته النفسية وترجمات ردود أفعاله وانفعالاته تؤكد أن الأنا لدى السيد نزار عبد المجيد كانت عالية جداً مما يصعب عليه إيذاء نفسه، تقرير الطبيب الشرعي أخبرنا أنه حقن رقبته بحقنة هواء فارغة، والتحقيقات أثبتت عدم وجود أداة الجريمة في مسرح الجريمة؛ لذا فالرأي العام ينتظر بشغف نتائج التحقيقات النهائية في قصة انتحار الكاتب الشهير نزار عبد المجيد.

السيدة تفيدة العجوز تشاهد التلفاز، تقف مذهولة، تصرخ فلا

يسمعها إلهها:

-ولدي.. إنه نزار.. ابني.. لولم أتركه صغيرًا في يد المجهول ورحلت..

انتحرت يا نزار؟

لماذا.. لماذا يا رب؟!

أخذت تصرخ حتى سقطت مغشيًا عليها والتفت حولها العجائز.

\*\*\*

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وأما المسألة الخامسة عشرة: وهي أين مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة؟ أهى في السماء أم في الأرض؟ أهى في الجنة والنار أم لا؟ أتودع في أجساد غير أجسادها التي كانت فيها فتتعم وتعذب فيها أم تكون مجردة؟

فهذه مسألة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها، وهي إنما تُتلقى من السمع فقط، واختلف في ذلك:

قالت طائفة: هم بفناء الجنّة على بابها، يأتهم من رُوحها ونعيمها ورزقها.

وقالت طائفة: الأرواح على أفنية قبورها.

وقال مالك رحمه الله: بلغني أن الروح مُرسلة تذهب حيث شاءت.

وقالت طائفة أخرى، منهم ابن حزم: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها.

عادت الروح لمستقرها.. توجهت روحها نحو كوكب الزهرة، وجدت نزار  
جالسًا على متنه يراقب الأرض من بعيد، جلست جواره.. أكننا في كابوس؟

- رأيتِ أننا انتصرنا على الغياب؟

- لا أريد أن يتلعنا الثقب الأسود من جديد..

- لو ابتلعنا نحو الأرض مرة أخرى سنكون كائنين دمويين في عصر غير  
الذي كنا فيه، القدر يغير أقدارنا كل مرة، ولا يجعلنا نتنبأ بشيء..  
لذا سنظل نحارب المجهول والغياب طوال عمرنا.

- لماذا لا يلغي الإله الأعظم هذا الكوكب؟ لقد أرهق أرواحنا جدًّا.

- ولماذا لا يلغي الإله الأعظم الموت الذي يحرر أرواحنا، لتبقى  
أجسادنا على الأرض مدفونة دون عذاب؟

- في كل الاحول لا أحد يملي على الإله الأعظم ما يفعل.. هكذا قالت  
لي أمي على الأرض.

\*\*\*

كانت السيدة مهديّة وأشرف وسوسنة وعماد وريم وأبناء إنانا  
ينتظرون في الخارج بعد أن اتصل بهم الدكتور منير ليحضروا، لم  
يخبرهم أنهم سيتسلمون جثة إنانا حتى لا يصدّمون، فعقلهم لن

يستوعب فكرة أنها ماتت حزنًا، أو ماتت كمدًا، أو أنها استعادت كل طاقة الصراخ في عمرها فجأة حين احتضرت، أو أن روحها لم تكتفٍ بالاستحواذ على عقلها فقط وبدأت بالانتشار لتلغي الجسد.. لن يستوعبوا ذلك.. الدكتور منير نفسه لم يكن يعلم كيف سيرد على أي اتهام، وكيف سيرد على الذين يقولون أن مصحته أصبحت وكرًا لموت المرضى.. وكيف سيواجه القضايا التي سوف تقام عليه.

لكنه بدأ يشرح كل شيء أمام القاضي.. بالأدلة العلمية والفلسفية والبراهين.. وترجمة كل شيء على ورق مطبوع بذبذبات الموجات من جهاز ترجمة هالات الأرواح الذي كان يقرأ كل شيء.. والذي احترق آخر الأمر.

القضاة يشيرون لبعضهم بعضًا بعدم الاقتناع، ومهمسون لبعضهم البعض بأنه مجنون، وأن أجهزة القضاء والمحققين يملكون الأوراق الثبوتية والأحراز الجنائية كجهاز صعق الكهرياء الذي كان آخر ما استخدمه لإنعاش إنانا. قال الادعاء أنه استخدم في قتلها، مستفيدًا من تقرير الطبيب الشرعي حول مقتل نزار وأثار حقنة في سلة المهملات استخدمت في قتله.

وعلى الناحية الأخرى من القاعة: السيدة مهديّة تبكي.. وصوت جماهير نزار الثائرة تطالب بالقصاص من الدكتور القاتل قائلين: إلى متى سيظل الفساد متفشياً في هذه الدولة، اعدموا من لا ضمير لهم..

القاضي:

- هل هناك شيء تريد أن تقوله قبل أن ننطق بالحكم يا دكتور منير؟  
الدكتور منير:

- أشهد أمام الله أنني أثبت لكم بالعلم والمنطق والدليل صحة ما رويت، ليس ذنبي أن أجهز الدولة لم تكن على قدر من التقدم لقراءة الأدلة، ليس ذنبي أن أجهز الدولة لا تواكب العصر، ليس ذنبي أنكم لستم على دراية بما يحدث في الزمكان الذي أثبتته ناسا، ليس ذنبي أنكم لا تصدقون أن الروح تملك طاقة تحرق الأجهزة وتعطلها، أنتم لا تستطيعون إحضار عالم من ناسا ليشهد بذلك.. براءتي لا تهمكم، المهم هو أن يبقى كل شيء كما هو.. وآخر ما يمكنني اختصاره ليصل مقصدي لعقولكم التي أصابها الضمور وضمايرهم التي أصابها العطب.. هو:

“إن في الفضاء عوالم نراها من أجرام وكواكب ونيازك وعوالم لا نراها من أرواح وهالات ومجرات حيّة وقوية، يحمينا الله منها بسماء، ويحميهم الله منا بطريقة لا ندركها، قال تعالى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا).

سقط علينا روحان من الفضاء، فتلوثا بدمويتنا، ولا إنسانيتنا، وأنانيتنا، بعضها أصابه العطب.. وبعضها لم تتحمل هشاشته هول ما يحدث فاختنق وغادر بموتٍ رحيم.. فلنصلي جميعاً وندعو الله أن يُعجل بقيامته عادلة”.



حكمت المحكمة حضورياً.. بإحالة أوراق الدكتور منير السيرجاني  
لمفتي الجمهورية.

لعدم كفاية الأدلة فيما نُسب إليه من جرمي قتل المدعو نزار عبد  
المجيد والمدعوة إنانا كردي.

\*\*\*



## شكر

لقد كتبتُ هذه الرواية وأنا في ذروة الحزن على ما يحدث في سوريا ، كنت أشرد في أعين تلك الجموع من السوريين الذين أصادفهم في طريقي وفي التجمعات ، أحاول ترجمة ما شاهدته ، أحاول الإقتراب والإبتسام لهم ، وخاصة فتايتهم الجميلات الرقيقات بوشاحهن الأسود وأغطية رؤوسهن البيضاء ، وانا مدينة لكل اللحظات النادرة التي شكلها هذا الشرود والتي جعلتني أفكر أكثر بأحوالهن وأحلامهن وتلك الاحوال التي مرت عليهن لتعطين القوة في عالم لا يمضي عقد الحياة إلا مع القويات ، أما الحالمات فلهن عوالم أخرى لا نعلم عنها حتى الآن شيئاً ربما تساهم هذه الرواية في الإشارة بشكل ما لها .

\*\*\*



## أتوجه بالشكر الجزيل

لزوجي الحبيب أحمد الذي لا يكف عن دعمي

لصغيرتي التي تلهمني أحيانا بأسئلة فلسفية بريئة

لمدير مؤسسة تبارك للنشر والتوزيع المهندس محمود زيدان على  
الدعم منقطع النظير لهذا العمل الروائي.

للأديب السكندري الرائع حسام حسين الذي أكن له كل إمتنان

وتقدير

لرفيقة الوجد التي لها في هذا العمل جزء كبير من إنانا

لكل الأصدقاء والمتابعين على وسائل التواصل الإجتماعي .

\*\*\*



## هبتا عيسى

فنانة تشكيلية وروائية صدر لها عام ٢٠١٥ رواية  
شيطلائكية ، وأقامت معرضها الفني التشكيلي  
بنفس اسم روايتها ، تكتب عن الماورائيات وتهتم  
بالمرأة ، تؤمن بأن التغيير لا يتم إلا بتهذيب  
الوجدان من خلال الفن ، وتؤمن أيضا بأن  
الثقافة ماهي إلا قلمٌ يعانق فرشاة.

للتواصل الإلكتروني مع الكاتبة من خلال حسابها  
الشخصي على الفيسبوك

[www.facebook.com/Hebaeissaa](http://www.facebook.com/Hebaeissaa)

